

مجلة إسلامية شهرية

أغسطس ٢٠٢٥
صفر المظفر ١٤٤٧ هـ

الإشراق

تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية

المشرف العام جاويد أحمد غامدي

رئيس التحرير : د. محمد غطريف شهباز الندوي
المدير المسؤول : محمد حسن إلياس

"... لقد عرض القرآن الكريم معنى الذكر بأساليب متعددة، وبين أحواله الظاهرة والباطنة فعندما يوقن الإنسان بأن له خالقًا ومالكًا واحدًا، يتولى أمره، ويدبر شأنه، وسيعيده يومًا ما ليحاسبه على أعماله، يقع في نفسه انقلاب جذري. تصبح غايته الكبرى هي نيل رضا ربه، ويطلب عونه بقلب ممتلئ بخشية الله. يتوكل عليه بثقة نابغة من إيمانه بقدرته وقوته وعظمته. يجتنب المعاصي حرصًا على رحمته، ويسارع إلى الطاعات رجاءً في ثوابه. تتحول التوبة والإنابة، والخشوع والخضوع، والذكر والتفكير، والتفويض والتوكل، والرضا والتسليم، إلى صفات ظاهرة وباطنة في كيانه. وأعظم ما يعبر عن هذا الحال هو ذكر الله..." (من مقال: "الذكر الدائم"، للأستاذ طالب محسن، ص ٩٢)



مركز غامدي للتعليم الإسلامي، المورد، أمريكا

"المورد": مؤسسة التعليم والبحث الأهداف والمقاصد التأسيسية

المورد مؤسسة علمية متميزة، تنهض بأمانة التقاليد الفكرية الراسخة التي شكّلت معالم الحضارة الإسلامية عبر القرون. تأسست في مستهل القرن الخامس عشر الهجري^١ انطلاقاً من وعي عميق بأن مسار التفقه في الدين لم يعد يسير على الجادة السليمة. فقد أضحت الدعوة إلى الدين الخالص، المستندة إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، غريبة بين المسلمين، بعدما طغت العصبية المذهبية وتفاقت النزاعات السياسية التي صرفت الأنظار عن جوهر الدين وروحه. لقد أصبح القرآن الكريم، الذي يعدّ أساس هذا الدين، مجرد كتاب للحفظ والتلاوة فحسب. وفي المدارس الدينية، غدت العلوم التي كان يفترض أن تكون وسائل للوصول إلى القرآن الكريم مقاصد في ذاتها. أما السنة النبوية، فقد فصلت عن أصولها في القرآن والسنة، وأفرغت من مضامينها الحقيقية، بينما انصبّ الجهد على مبادئ مدرسة فكرية بعينها، والسعي لإثبات تفوقها على غيرها من المدارس.

تأسست هذه المؤسسة، التي تحمل اسم "المورد"، استجابة لواقع ديني يتطلب إصلاحاً عميقاً وتقويةً شاملاً. وانطلاقاً من هذا الوعي، جعلت المؤسسة من أولى أولوياتها السعي إلى ترسيخ الفهم الصحيح للدين، من خلال البحث العلمي، والتحقيق الرصين، والنقد المنهجي للانحرافات التي علقت به عبر العصور. كما التزمت بنشر هذا الفهم على أوسع نطاق ممكن، مستثمرة في ذلك شتى الوسائل المتاحة، مع العناية بتربية الناس وتعليمهم على ضوء هذا التصور الأصيل والمستتير للدين. لتحقيق هذا الهدف، تم اتباع الأساليب التالية التي تعدّ من الركائز الأساسية

^١ شعبان ١٤٠٣هـ الموافق يونيو ١٩٨٣م.

لتحقيق المقصد:

- ١- الاهتمام بتذكير الناس بالقرآن على المستوى العالمي.
 - ٢- تعليم الناس شريعة الله وفق القرآن والسنة، مع التركيز على تنمية الإيمان والأخلاق.
 - ٣- إشراك العلماء والباحثين ذوي الفكر الصحيح في الدين كزملاء في المؤسسة، وتوفير كافة التسهيلات اللازمة لدعم أعمالهم العلمية، البحثية والدعوية.
 - ٤- حث الناس على إقامة المؤسسات التي تدعم نشر العلم الديني الصحيح في مختلف المجالات، ومنها :
 - أ- إنشاء مدارس تعليمية تهدف إلى تخريج علماء وباحثين متبصرين في الدين وفق الفهم الصحيح.
 - ب- إقامة مدارس على مستوى عالٍ، مثل مدارس للمرحلتين المتوسطة والعليا التي تجمع بين التعليم الأكاديمي المتميز مرحلة الثانوية العامة وتنمية القدرات الإبداعية للطلاب، مع توفير التربية الدينية والثقافية.
 - ج- إقامة مدارس دينية أسبوعية للطلاب من المدارس العامة، حيث يتم تدريسهم القرآن الكريم بطريقة تؤصل في نفوسهم حب الدين، مما يجعلهم ثابتين في إيمانهم في المستقبل.
 - د- إنشاء زوايا (خانقاهات) يتردد إليها الناس بين الحين والآخر، فيتركون مشاغلهم الدنيوية لبعض الوقت، ليستفيدوا من مجالسة العلماء والصالحين، ويتعلموا منهم الدين، ويخلوا بأنفسهم أياً ما معدودة يتفرغون فيها للذكر والعبادة طلباً لتزكية النفوس وتطهير القلوب والأبصار.
-

الإِشْرَاقُ

المشرف العام
جاويد أحمد غامدي

رئيس التحرير: د. محمد غطريف شهباز الندوي
المدير المسؤول: محمد حسن إلياس

تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية

العدد الأول | العدد السابع | أغسطس ٢٠٢٥م | صفر، البظفر ١٤٤٧هـ

هيئة التحرير

ريحان أحمد يوسف، د. محمد عمار خان ناصر، محمد ذكوان الندوي
محمد عامر كزدر، د. عرفان شهزاد، نعيم أحمد بلوش، عثمان فاروق

محتويات العدد

الشذرات

- ٣ من رسائل الأدباء إلى مجلة "الإشراق" رئيس التحرير/ عمر ضوبع
٦ إشراق: مأساة غزة وأزمة الأمة الإسلامية (٢) رئيس التحرير
١٣ حدود الدعوة (٢) جاويد أحمد غامدي
١٨ موقف الأستاذ غامدي من قضية نزول المسيح (٧) السيد منظور الحسن

القرآنيات

- ٢٣ البيان: البقرة ٢: ٧١-٨٢ (٧) جاويد أحمد غامدي

المعارف النبوية

- ٢٦ الأحاديث جاويد أحمد غامدي

مقامات

- ٢٧ مقتطف من "مقامات" (٦) جاويد أحمد غامدي

الدين والمعرفة

- ٣٣ مقتطف من "ميزان" (٦) جاويد أحمد غامدي

آثار الصحابة

- ٣٨ آثار أئمة أهل البيت عن الصحابة (١٠) أ.د/ محمد عمار خان ناصر



www.ghamidi.org

الدراسات والتحقيقات

- انشقاق القمر: موقف الأستاذ غامدي (٥) السيد منظور الحسن ٤٤
دراسة سنن ابن ماجة (٦) د. عمار خان ناصر/ د. مطيع سيد ٥٠
تاريخ جمع وتدوين القرآن (دراسة نقدية) (١) الدكتور شهزاد سليم ٦٠
دراسة نقدية لتفسير «مفتاح القرآن» (٤) د. محمد غطريف شهباز الندوي ٦٦

وجهات نظر

- أحاديث القراءات السبعة في ميزان الدراية العلامة شبير أحمد أزهر/ ٧٢
د. غطريف شهباز الندوي
توافق علامات القيامة في الحديث النبوي (٢) الدكتور محمد سعد سليم ٧٨

المختارات

- تحقيق حديث المسلسل بتحريك الشفتين الإمام المحدث شبير أحمد أزهر الميرتبي/ ٨٤
مقتطف من شرح البخاري (٢) د. محمد غطريف شهباز الندوي

في باب التذكير

- الذكر الدائم الأستاذ طالب محسن ٨٨
ظاهرة كارثية في زمن الانحطاط الشيخ محمد ذكوان الندوي ٩١

تصحيح المفاهيم

- سيدنا سفيان بن حرب بن أمية رضي الله عنه الأستاذ محمد فهد حارث ٩٦

في السيرة

- الشيخ السيد أبو الأعلى المودودي (١) الأستاذ محمد حسن إلياس ١٠٤
حياة أمين (٦) نعيم أحمد بلوش ١١٠

الشعر والقريض

- الشكوى وجواب الشكوى (٢) العلامة الدكتور محمد إقبال/ ١١٨

- صاوي علي شعلان المصري
قصيدة "تحية لأطفال غزة" الشاعر المصري محمد الشرقاوي ١٢٠
أبيات مختارة من قصيدة في مدح الحبيب ﷺ الشاعر السوري عمر ضوبيع ١٢٢

الأحداث

- النشرة الإخبارية لمؤسسة "المورد أمريكا" شاهد محمود ١٢٣

الشذرات

من رسائل الأدباء إلى مجلة "الإشراق"

أخونا الغالي الأستاذ الشاعر عمر ضوبع،
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،
صباح الخير والمسرات والبركات...
أرجو أن تكونوا بخير وصحة وعافية.

يسعدني ويشرفني أن أهدي إليكم مجلة "الإشراق" يوليو ٢٠٢٥م، وهي مجلة
شهرية إسلامية تعنى بالفكر الديني القيمي والأدب الإسلامي، ويشرفني أن أكون
من أعضاء هيئتها الاستشارية.

وقد قمت في هذا العدد بترجمة بعض المقالات من اللغة الأردية إلى اللغة
العربية، خدمة للغة الضاد، ولإيصال الفكر الإسلامي الرصين إلى جمهور أوسع
من القراء.

أرجو أن تنال محتويات المجلة إعجابكم، وأن أسمع رأيكم وملاحظاتكم
النقدية البناءة، التي أعتز بها كثيرًا.

مع خالص محبتي وتقديري ودعواتي لكم ...
أخوكم

الدكتور محمد غطريف شهباز الندوي

رئيس التحرير مجلة "الإشراق"

(١ يوليو ٢٠٢٥م)

رد الشاعر عمر ضوبع*

إلى سعادة رئيس تحرير مجلة "الإشراق"، الدكتور محمد غطريف شهباز الندوي،
وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته،
أهلاً وسهلاً بكم أخي الكريم ...
شكراً لكم أخي الكريم لأنكم أطلعني على هذه المجلة القيمة، حقا إن لها
من اسمها نصيباً عظيماً، هي فعلاً (إشراق) في ظلمة الليل الذي يطغى على عالمنا
اليوم.

بوركت الجهود التي تبذل لنشر المعرفة والأخلاق، وسلمت الأنامل التي تعزز
القيم الإسلامية السمحة في المجتمع، أرى بوضوح أن المشرفين والمحررين في
هذه المجلة حملوا على عاتقهم إيصال رسالة الإسلام المعتدل، وسلطوا الضوء على
الآلام التي تعاني منها أمتنا اليوم، جمعوا بين التفسير والحديث والأدب والتاريخ
والسياسة، فكانت مجلة (إشراق) بستاناً يجمع ألواناً شتى من الزهور الندية، ولوحة
ترسم للبصيرة لا للبصر ملامح إرثنا الثقافي الخالد.
وإنه لي شرفني أن أشارككم في خدمة ديني بما أستطيع سائلاً المولى لي ولكم
دوام التوفيق والرشاد.

عمر ضوبع

سوريا

(٥ يوليو ٢٠٢٤م)

* يسرنا في مجلة "الإشراق" أن نعرف قراءنا الكرام بالشاعر والكاتب السوري
الأستاذ عمر ضوبع، أحد الأصوات الأدبية المتميزة في ميدان الشعر العربي
الربوي والديني.

ولد الأستاذ عمر ضوبع في دمشق عام ١٩٨١م، وتخرج في كلية الآداب والعلوم
الإنسانية - قسم اللغة العربية بجامعة دمشق عام ٢٠٠٩م. ومنذ تخرجه، كرس
جهده لتعليم اللغة العربية في المرحلتين الإعدادية والثانوية، وظل على صلة

وثيقة بالعمل التربوي والأدبي.

للأستاذ عمر ضوبع عدد من المؤلفات الشعرية والتربوية، من أبرزها:
"الأرجوزة السّميّة من الشّمائيل المحمدية"، و"اللؤلؤة الفريدة في الأخلاق الحميدة"،
و"قصص مدرسية معبرة"، بالإضافة إلى منظومته النحوية التعليمية "الجنى القريب
من مغني اللبيب"، وديوان شعري ينتظر النشر.
كما عرف ببعض القصائد المطوّلة ذات الطابع الفريد، مثل:
"القصيدة الأُسدية في مدح خير البرية"، و"قصيدة الحرف المفرد"، و"تحميس
البردة"، وغيرها.

ويشرف الأستاذ عمر ضوبع أيضًا على صفحة متميزة على منصة فيسبوك
بعنوان:

"لوحات من علوم العربية" وهي صفحة تهتم بنشر الفوائد اللغوية والبيانية،
وتعنى بعلوم اللغة العربية بأسلوب مبسّط وجذاب، وقد نالت استحسان كثير
من طلاب العلم ومحبي العربية. رابط الصفحة:

<https://www.facebook.com/share/16T4So4jHJ>

يتميّز إنتاجه الأدبي بروح إيمانية رقيقة، ولغة متينة، وفكر تربوي ناضج،
ويجمع في شعره بين الحس الجمالي والمعنى العميق. نحن في مجلة الإشراف نعتزّ
بمشاركته، ونرحب بإسهاماته الكريمة التي نعدّها إضافة قيمة لصفحاتنا.





د. محمد غطريف شهباز الندوي

إشراق

مأساة غزة وأزمة الأمة الإسلامية:

قراءة في الواقع وسبل المعالجة

وجهة نظر في ظلال الوضع الكارثي في غزة (٢)

(يرجى قراءة الحلقة السابقة للتكملة)

وعلى الصعيد الإداري الدولي، أثبتت التجارب السياسية المعاصرة أن إدارتنا ومؤسساتنا القائمة لم تجد نفعًا، ولم تكن كافية في الدفاع عن الوطن الإسلامي أمام الغارات الوحشية الصليبية والمخططات الصهيونية الخبيثة. ومن ثم، فإن من الضروري إنشاء مؤسسات عسكرية إسلامية دولية على غرار حلف الناتو، بحيث يعد أي عدوان على دولة عضو في هذا الحلف الإسلامي عدوانًا على سائر أعضائه، يستوجب الرد الجماعي الفوري.

(د) التخلف في ميدان العلم والبحث، والتقليد الأعمى:

العالم الإسلامي يشهد جمودًا فكريًا، فلا تُنتج أبحاث جديدة ذات بال، بل تسود فيه ثقافة التقليد الأعمى للسلف، ويغيب عنه الاجتهاد الفكري. في عالم الواقع، لا يمكن أن تكون مقلدًا أعمى في الشؤون الدينية، ثم تتوقع أن تتقدم في العلوم الدنيوية، وتُبدع وتُخترع وتُجري الاجتهادات فيها.

ويشهد التاريخ كله أن الواقع لا يسمح بازدواجية عجيبة كهذه: لا يمكن لأمة أن تكون في أمور الدين مقلدة عمياء، ثم تزدهر وتبدع في ميادين العلوم

الدنيوية. فهذه مزاعم واهية من بعض العلماء حين يقولون: "دعوا الدين لنا، واجتهدوا أنتم في شؤون الدنيا!" الواقع أن المسؤولية مشتركة، وإن كانت تقع بشكل أكبر على عاتق الحكومات، إلا أن العلماء والمفكرين لا يُعَقِّون من المسؤولية برمتها. فحياة الإنسان لا يمكن تقسيمها إلى صناديق منفصلة؛ من يقلد تقليدًا أعمى في أحدها، لن يكون مبدعًا مجتهدًا في الآخر. فلا بد من إحداث بيئة جديدة كليًا في المجالين معًا: فتح باب البحث العلمي، احترام حرية الفكر، تقبّل الاختلاف، وإتاحة الفرص للجميع، فبذلك فقط يتفعل العقل المسلم المتأزم ويثمر في مجال العلوم الإسلامية وفي مجال العلوم الإنسانية كذلك. ولنا أن نتساءل: لماذا يهاجر العقول المسلمة إلى الغرب؟ ما سر هذا "الزيف العقلي" (Brain Drain)؟ أليس من واجبنا أن نراجع أنفسنا بجدية؟

(هـ) التخلّف في ميادين العلوم والتكنولوجيا:

ومن أسباب تراجع الأمة وانحطاطها تخلفها في ميادين العلوم والتكنولوجيا أيضًا.

تشير بعض الدراسات إلى أن معظم الجوائز العالمية كجائزة نوبل خلال الخمسين عامًا الأخيرة قد ذهبت لعلماء يهود، بينما الجوائز التي نالها المسلمون (على قلتها) كانت في مجالات الأدب أو حقوق الإنسان أو النشاط السلمي، لا في مجالات العلوم أو التكنولوجيا. صحيح أن هناك من يشكك في حيادية لجنة جائزة نوبل، ويتهمها بالتحيز، لكن فلنفترض صحة ذلك، فماذا عن الجوائز التي يقدّمها المسلمون أنفسهم مثل جائزة الملك فيصل؟ معظمها تُمنَح للمسلمين فقط في مجالات مثل خدمة الإسلام، الأدب العربي، الحديث، والفقه، ونادرًا ما تُمنَح في مجالات الطب أو التكنولوجيا أو الذكاء الاصطناعي! وعلماء الإسلام ورجال الدين يقولون: "لم نمنع أمتنا يومًا من التقدم العلمي!" وهذا صحيح، لكنه نصف الحقيقة. لأنهم وإن لم يمنعوا، لم يشجّعوا بكل قوة وبكل تأكيد فكرة التقدم العلمي كذلك، بل لا يزالون يقولون إن العالم الإسلامي لن يتمكن من مواكبة الركب الحضاري العلمي الغربي التقدمي. وجراء هذا التغافل والتراجع الفكري ظلت العلوم الدنيوية دائمًا في موقع ثانوي في فكرهم، وانشغلوا بمفاهيم غير مثمرة مثل "أسلمة العلوم وإسلامية المعرفة". بل وظهرت كتب في الرد على حقائق

علمية مثل: "الفوز المبين في ردّ حركة الأرض"، وتجد أن جمهوراً واسعاً من المسلمين يتبع رجال الدين كهؤلاء. أما عن التعليم الديني، فمناهج المدارس الدينية التقليدية، خصوصاً في شبه القارة الهندية، لم تشهد أي إصلاح حقيقي، سوى بعض التحسينات الشكلية. وحتى في العهد العثماني التركي، رفض بعض مشايخ الإسلام التحديث التقني حين أراد بعض الخلفاء العثمانيون ذلك وتلك كارثة كانت لها آثار طويلة المدى.

الافتقار إلى التخطيط الاستراتيجي والمثابرة:

لا يوجد في العالم الإسلامي تقاليد راسخة للعمل المتواصل الموجّه نحو هدف واضح. عادةً ما يثور الناس بحماسة وقتية، ثم تخمد حركتهم كفقاعات ماء. أما العمليات العشوائية العنيفة، مثل بعض هجمات "المقاومة"، فقد أصبحت نتائجها عكسية تماماً. مثال صارخ على ذلك: عملية "طوفان الأقصى" في ٧ أكتوبر سنة ٢٠٢٣ من قبل حماس، والتي تحوّلت اليوم إلى كارثة إنسانية بغزة. لأن مثل هذه العمليات تُوصم فوراً وعالمياً بالإرهاب، وهناك اليوم إجماع دولي ضدّ الإرهاب، ومن يخرج عن هذا الإجماع دون دعمٍ دولي، يتعرّض لعواقب وخيمة. قارنوا ذلك بحرب أفغانستان ضد السوفييت، التي نجحت لأن الولايات المتحدة وباكستان دعمتا "المجاهدين". أما غزة، فلم يكن هناك داعم حقيقي، والنتائج أمام أعين العالم.

(و) خوض المعركة بدون استعداد:

على مدى القرنين الماضيين، شهدنا أن تاريخ الأمة الإسلامية مليء بالهزائم والانكسارات، بدءاً من حركة سيد أحمد الشهيد في القارة الهندية حتى نضال الفلسطينيين اليوم. ومن ثورة عبد القادر الجزائري، والإمام شامل، وعمر المختار السنوسي، إلى الحركات المعاصرة، النتيجة واحدة. في هذا السياق، يمكن أن يستنير المسلمون بتوصية إقبال:

هو صداقت کے لیے جس دل میں مرنے کی تڑپ پہلے اپنے پیکرِ خاکی میں جاں پیدا کرے
پھونک ڈالے یہ زمین و آسمانِ مستعار اور خاکستر سے آپ اپنا جہاں پیدا کرے
اپنی دنیا آپ پیدا کر اگر زندوں میں ہے سر آدم ہے ضمیر کن، فکاں ہے زندگی
(إن أردت أن تموت من أجل الحق، فأحِ نفسك وأعدّها جيداً أولاً، وأحرق

وجودك هذا المستعار، وابدأ ببناء عالمك من رماده. إصنع عالمك بيدك إن كنت من الأحياء، فالسرّ في ذات الإنسان، والحياة هي الإرادة).
ويشهد المسرح السياسي في الشرق الأوسط على ذلك فإن إيران قامت بصمود وردت على العدوان الإسرائيلي الغاشم لأنها كانت مستعدة من قبل لخوض معركة كهذه. في العالم، تهيمن لوبيات قوية: اللوبي الصهيوني، ولوبي "الهندوتفا". الأول يحكم العالم، والثاني يحكم الآن الهند وهو بلد كبير ذو إمكانيات اقتصادية كبيرة وتقدم تقني في البرمجة الإلكترونية والذكاء الاصطناعي، وقد أصبحت هذه اللوبي قوية حتى في الغرب، وتربطه علاقات قوية بسياسي أمريكا مثل أوشا فينس وتولسي غبارد امرأة ذات كراهية شديدة للإسلام، في عهد ترامب الراهن. أما المسلمون، فلا يمتلكون إلا المشاعر. لا لوبي مؤثر، ولا استراتيجية موحدة. الجالية المسلمة الجنوبية الآسيوية في أمريكا مشغولة بصراعات سياسية بين باكستان والهند. نعم هناك فعالية كبيرة من الفلسطينيين من طلاب وأساتذة ناشطين، وقد نجحوا في تغيير الرأي العام الأمريكي والرأي العام العالمي إلى حد لا يُستهان تجاه قضيتهم.

(ز) التصوف السائد كمصدر للشرك والتخلف العلمي:

الكثير من مظاهر الشرك والبدع والخرافات دخلت إلى جسد الأمة عن طريق التصوف المنحرف. بعض الروايات الضعيفة والموضوعة أيضاً ساهمت في ذلك، لكن المصدر الأكبر كان التصوف. نعم، للتصوف فوائد كتهذيب النفس وتعميق نزعات العبادة، لكن له أضراراً كبرى. أهمها: عبادة الأشخاص تحت ستار "الشيخ المري"، وأفكار خطيرة مثل "وحدة الوجود"، التي طمست التوحيد. ثم هناك العداء للعلم: فقد كان يُقال للمريدين: (صد كتاب وصد ورق درناركن) "ألق بالكتب والأوراق في النار!"

وقد شاعت هذه الثقافة. صحيح أن هناك استثناءات، فقد ازدهرت الرياضيات في مدرسة صوفية لشاه كليم الله الجهانابادي، وبرزت العلوم الدينية في أسرة الشاه ولي الله الدهلوي، لكن هذا لم يكن هو الاتجاه الغالب.

إصلاح الحال:

وإن كنا نكتفي هنا بالإشارات بسبب طول المقال، فإن الإمام مالك قال جملة

عظيمة تلخص طريق الإصلاح: "لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها". أي أن السبيل الأوحى هو الرجوع إلى القرآن، أن تصبح زمام الأمة في يد القرآن الكريم، فهو العلاج لكل داء. ومع ذلك، لا يزال بيننا من يحارب هذا الرجوع، ويمنع الناس من فهم القرآن بلغتهم، ويرفض دروس التفسير في المساجد. وقد قال إقبال مامفهومه:

وہ زمانہ میں معزز تھے مسلمان ہو کر اور تم خوار ہوئے تارک قرآن ہو کر

"كان المسلمون في السابق أعزة بتمسكهم بالقرآن، أما أنتم، فذللتهم بترككم للقرآن".

ويقول كذلك بالفارسية مامعناه:

گرتوی خواہی مسلمان زیستن نیست ممکن جز بقرآن زیستن
 "إن أردت أن تحيا كمسلم، فلا حياة لك إلا بالقرآن".

وثانيا: الإصلاح لا يأتي بشعارات أو اختصارات، بل بتخطيط طويل المدى، عبر التعليم، والتعليم فقط. ثالثا: يجب أن تتقدم الأمة في مجالات التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي. وعلى المستوى السياسي، ينبغي تبني النمط الديمقراطي مع تعديلات تناسب الواقع، لكن لا يمكن بعد اليوم القبول بالملوكية، أو الدكتاتوريات العسكرية، أو الاستبداد الفردي.

يجب أن تنهض حركة شعبية في الأمة ضد هذه "اللغات". على العلماء والمفكرين أن يتحركوا، وألا يظلوا أسرى المصالح أو عبدة الملوك. ينبغي أن تطلق حملات ضد البدع والخرافات، ويعمل على توحيد صفوف المسلمين، ويُمارس ضغط شعبي على الحكام. كما يجب إنشاء لوبيات سياسية واقتصادية قادرة على التأثير الدولي.

وأما عن القضية الفلسطينية

ينبغي تشكيل حركة شعبية عالمية سلمية تستثمر الوسائل الحديثة لتوصيل الرواية الفلسطينية للعالم. هذه الحركة بدأت بالفعل على أيدي طلاب الجامعات في أنحاء العالم والناشطين للحقوق الإنسانية، ويجب أن تُدعم وتُوجه. أما الحركات المقاومة، فعليها مراجعة استراتيجياتها. وتجول بخاطري فكرة لو كانت العمليات الكفاحية المسلحة داخل إسرائيل بدلا من غزة، لما تمكن الاحتلال من تدمير

القطاع بهذه البشاعة وبهذا الإفلات الكامل من العقاب.
كلمة الختام

اليوم، يبدو أن الإسلام السياسي، أو الإسلام الحركي، يتراجع. البداية كانت بإسقاط حكومة محمد مرسي عبر مؤامرات خليجية. في المقابل، كان لانتفاضة الطلاب في بنغلادش تأثير معاكس إيجابي. أما "التصوف السائد" فهو يروق لقوى الاستعمار، و"السلفية" أصبحت خادمة للملوك، وتخلّت عن فكر ابن تيمية. وفي ظل هذا الفراغ، لا يلوح في الأفق بديل حقيقي. العلماء التقليديون ما زالوا أصحاب النفوذ في المجتمعات المسلمة، لكن من يواكب منهم العصر الحاضر قليل. فإذا نحن بحاجة إلى جيل جديد من القادة، من أصحاب الفكر والوعي، الفعّالين والمؤهلين، ليتصدّروا المشهد ويقودوا الأمة نحو المستقبل إن شاء الله تعالى.

لقد أظهرت دولة إيران الإسلامية الشقيقة، ومعها المجاهدون الحوثيون من اليمن، وإخواننا الفلسطينيون المنكوبون الصامدون الصابرون وقوى المقاومة فيهم- رغم قلة الإمكانيات ووطأة الحصار الاقتصادي الجائر، ورغم الهجمات الإرهابية الآتية التي تشنها الولايات المتحدة وحلفاؤها من قوى الاستكبار الغربي والاحتلال الصهيوني، شجاعة نادرة وعزيمة صلبة في التصدي للأعداء المستكبرين: العدو الصهيوني الماكر، والعدو الصليبي الحاقد المتعصب. وإننا لنعتقد الأمل على أن هذه الأطراف سوف ينجحون، بإذن الله، في كسر شوكة هذا المشروع الخبيث الذي يسمى بـ"الشرق الأوسط الجديد"، وهو الحلم المسموم الذي يراود الطاغية ننتياهو وتدعمه بقوة الإدارة الأمريكية المتغطرسة، التي لا تقيم وزناً لأي قانون أو مبدأ أخلاقي دولي. وما ذلك على الله بعزيز.

في رحاب العدد السابع

بحمد الله وفضله، نضع بيناً يديكم العدد السابع من مجلة الإشراف، جادين على المسيرة التي بدأناها في خدمة الفكر والوعي، وماضين في تقديم مختارات مترجمة منا لنسخة الأردية للإشراف لعدد يوليو ٢٠٢٥م، إلى جانب دراسات وتحليلات أصيلة تسعى إلى تعميق النظر وتوسيع الأفق.

لقد التزمنا منذ انطلاقة المجلة بأن تكون منبرًا حرًا للفكر المسؤول، ومجالاً رحبًا للتأمل الرصين، تجمع بين صدق المقصد ودقة الطرح، وبين رصانة المحتوى وجديّة التناول.

وإذ نقدّم هذا العدد، فإننا نفتتح قلوبنا وصدورنا لملاحظات قرّائنا الكرام وآرائهم السديدة، فهي زادنا في درب التطوير، وعوننا على بلوغ التميّز. نسأل الله أن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع بها لقراءه والباحثين، وأن يكتب لها لقبول في الأوساط العلمية والأدبية. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم في الدين،

أ. د/ محمد غطريف شهباز الندوي

(١٤ يوليو/تموز ٢٠٢٥م، علي كره)





جاويد أحمد غامدي

ترجمة من الأردنية: الأستاذ عثمان فاروق

حدود الدعوة

(الحلقة الثانية والأخيرة)

٤- الهجرة والبراءة

الحد الرابع أن الأمر بالهجرة في القرآن الكريم لا يزال قائماً من حيث المبدأ، فحيثما أصبح الالتزام بالدين في مكان ما ضرباً من المخاطرة والتعذيب، وجب على المؤمنين تركه والانتقال إلى حيث يتمكنون من ممارسة شعائهم. غير أن هناك نوعاً من الهجرة تحدث عنها القرآن، وهي هجرة الدعوة التي كانت تمثل مرحلة من مراحل الرسالة، وتعد إعلاناً بالمفاصلة والبراءة من قبل الداعي تجاه قومه، فهذه خاصة بالرسول دون سواهم. ذلك أن من شروط هذه الهجرة أن تكون حجة الله قد أقيمت على القوم إقامة تامة، وهذا لا يتحقق إلا من خلال دعوة الرسل، لأنهم وحدهم الذين يملكون المقام الذي يؤهلهم لهذه المهمة: يبشّر ببعثتهم قروناً قبل مجيئهم، ويذكرون في الكتب السماوية، وتروى أخبارهم في الأمم،^{١١} ويكونون قدوة في الأخلاق، وصفوة في السيرة،^{١٢} يوحى إليهم من الله، ويحاطون بعناية إلهية دقيقة^{١٣} تضمن لهم تبليغ الرسالة بلا خطأ أو نقص.^{١٤} ولهذا، نجد أن كثيراً من الأنبياء الذين لم يمنحوا منصب الرسالة لم يبلغوا هذه المرحلة من الدعوة. فالأنبياء من بني إسرائيل، كحناني وميكاية، سجنوا^{١٥}، اضطرّ إلياس إلى الالتجاء إلى جبال شبه جزيرة سيناء^{١٦}، ورجم زكريا في هيكل سليمان بين القدس والمذبح^{١٧}، ضرب إرميا وسجن، ثم علّق في بئر مملوءة بالطين بعد أن ربط

بالجبال^{١٨}، وعاموس، فقد نفى من موطنه^{١٩}، وقطع رأس يحيى عليه السلام بناءً على طلب راقصة، فوضع في صحن وقدم إليها^{٢٠}، لكن لم يذكر أن أحدًا منهم هاجر هجرة مفصلة على نحو ما فعله الرسل. والقرآن يبين أن قرار هذه الهجرة لا يكون إلا من الله تعالى، ولا يمكن لإنسان أن يقرره بعقله أو اجتهاده. فلما جاءت ملائكة الله إلى نبي عظيم مثل إبراهيم عليه السلام، حاملين قرار العذاب لقوم لوط، رأى ذلك سابقاً لأوانه، فجادل ربه في شأن هذا القرار^{٢١}. ويونس عليه السلام الذي ترك قومه بغير إذن من ربه، فعاتبه الله بشدة^{٢٢}. ولما آمن قومه بعد ذلك، اتضح أن توقيت الهداية لا يعلمه إلا الله. ومن ثم، فإن القرآن الكريم يجعل من واجب الرسول أن ينتظر حكم ربه باستقامة وثبات، ولا يترك قومه اعتماداً على تقديره الشخصي بأنه قد أدى ما عليه من البلاغ. بل يظل قائماً في الدعوة حتى يأذن الله له بالخروج، كما قال تعالى:

﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ (وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) (المدثر: ٦-٧)

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْخُوْتِ﴾ (القلم: ٤٨) فهذه الآيات تدل على أن الهجرة الدعوية لا تكون إلا بقرار إلهي صريح، وبهذا يعلم أن بعد ختم النبوة، لا مجال لهذا النوع من الهجرة مرة أخرى. أما في حال تعذر العيش بالدعوة مطلقاً، فإنه لا مانع أن يهاجر الداعية فراراً بدينه، كما فعل أصحاب الكهف والمهاجرون إلى الحبشة. لكن هذا شيء مختلف تماماً عن هجرة الرسل بعد إتمام الحجة، وقد انتهت هذا النوع من الهجرة بوفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ومن هنا، فإن أي حديث في هذا العصر عن هجرة دعوية أو براءة بمعنى الانقطاع التام عن المجتمع بدعوى إتمام الحجة، هو قول لا دليل عليه من القرآن أو السنة، ولا يؤيده العقل، ويعد توهماً لا وزن له في ميزان العلم والدعوة.

٥- النهي عن المنكر

الحد الخامس أن تجاوز التذكير والموعظة إلى مرحلة إزالة المنكر بالقوة ليس من صلاحيات أي داعية، بل هو مما اختص الله به ولاية الأمور. فالقرآن الكريم في هذا الباب واضح لا لبس فيه، إذ لم يؤذن حتى للرسل، وهم أعلى مراتب الدعاة، أن يتجاوزوا حدود التبليغ والبيان. يقول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (الغاشية: ٢١-٢٢)

وقد يعارض بعض الناس هذا الفهم بماورد عن النبي ﷺ فيقوله: 'من رأى منكم منكراً' ^٣ ولا شك أن هذا الحديث قد حمل في بعض فترات التاريخ، خاصة من قبل من لم يحسنوا فهم الدين، على أن كل صاحب عزيمة مكلف بتكوين جماعة من الأتباع، ثم الخروج لمحاربة المنكر بالقوة، حتى لو أدى ذلك إلى الثورة على الأنظمة والحكومات. وقد تأسست على هذا الفهم المنحرف جماعات مسلحة، سلّحت الشباب بالبندقية بدلاً من الكتاب، ورفعت شعار "الإسلام الثوري" أو "الإسلام المقاتل".

وهذه هي القراءة ذاتها التي أدت في عصرنا إلى اتخاذ هذا الحديث ذريعة لما يسمّى بـ "الجهاد المحلي" أو "الثورة الإسلامية". لكن الواجب أن يفهم الحديث في ضوء نصوص القرآن، ومسلّمات الدين، وسيرة الأنبياء، وألفاظ الحديث نفسه. ومن هنا يتبين أن تغيير المنكر بالقوة مرتبط بدائرة السلطة والولاية. فالرجل مسؤول في بيته، والحاكم مسؤول في دولته، والمدير مسؤول في مؤسسته. فكل صاحب ولاية شرعية مسؤول عن إزالة المنكر ضمن حدود ولايته. فإن لم يزل المنكر، مع قدرته عليه، ولم يكن ثمة مصلحة راجحة تقتضي الترفق أو التدرج، كان ذلك علامة على ضعف الإيمان. أما أن يقوم أي فرد أو جماعة بتجاوز حدود ولايته، ويشرع في التغيير بالقوة خارج إطار السلطة الشرعية، فهذا ليس جهاداً، بل هو فسادٌ في الأرض، لا يقرّه الإسلام بأي وجه من الوجوه.

٦- العذاب العام

الحّد السادس أن العذاب العام الذي نزل على أقوام مثل عاد وثمود وقوم نوح وقوم لوط، بسبب تكذيبهم للحق، هو أمر خاص بعصر الرسالة، ولا يمتد إلى ما بعده.

القرآن الكريم بيّن أن هذا النوع من العذاب لا ينزل إلا حين يقيم الله الحجة على قوم من خلال رسول من رسله. فإذا بلغ الأمر غايته، واستمر التكذيب بعد إقامة الحجة، فإن سنة الله تجري بهلاك القوم. أما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد انقطعت هذه السنة، ولم تعد قائمة. فلا يحق لأي داعية بعده أن ينذر

قومه بعذاب عام، أو يتنبأ لهم بزوال تام بسبب رفضهم لدعوته. فمثل هذا الأمر من خصائص الرسالة، وهو في الوقت ذاته دليل على الرسالة، لا يكون إلا معها. نعم، تنبيهات الله وتحذيراته لا تزال قائمة، وما يقع من بلاء أو مصيبة قد يكون بسبب صد الناس عن الحق، لكن ذلك لا يبلغ حد العذاب الاستتصالي الذي أهلك به الله أقوام الرسل. وبناءً عليه، فإن على الدعاة في كل عصر أن يجعلوا محور دعوتهم التذكير بالآخرة، ويظلوا ملتزمين بحدود البلاغ والموعظة، ولا يتجاوزوها إلى الوعيد بالعذاب العام، أو التهديد بالهلاك الجماعي، فإن ذلك تعدّ على مقام النبوة، وخروج عن منهج القرآن والسنة.

٧- التكفير

الحد السابع أن حكم تكفير الأفراد ليس من الحقوق الممنوحة لأي داعية، كائنًا من كان. فقد يقع بعض المسلمين في الكفر أو الشرك نتيجة الجهل بأحكام الدين، ولكن ما دام لا يعترف هو بنفسه بأن ما صدر عنه كفر أو شرك، فإن الواجب في حقه أن تبين له الحقيقة، وتعرض عليه أدلة الكتاب والسنة التي تكشف خطأه، مع النصح الصادق، والتنبيه إلى خطورة ما وقع فيه، وتحذيره من عواقب ذلك في الدنيا والآخرة. وأمّا إصدار حكم بالكفر على شخص ما، فلا يكون إلا بعد إقامة الحجة البالغة، وهو أمر اختصّ الله به رسله، ولذلك، فإنه بعد ختم النبوة، لا يملك أحد هذا الحق إلى يوم القيامة.

وأقصى ما يمكن أن يقوم به النظام الجماعي للمسلمين، كما تدل عليه آيتا سورة التوبة (الآيتان ٥ و١١)، هو الإعلان عن خروج فرد أو جماعة من دائرة الإسلام لأغراض تنظيمية أو قانونية، كتحديد التعامل معهم في إطار الدولة والمجتمع، لكن هذا لا يعني بالضرورة تنزيل وصف الكفر عليهم بمعناه العقدي والشرعي الكامل. غير أن هذا لا يعني بحال من الأحوال أن للداعية أن يدهن في أمر الكفر والشرك، أو أن يسكت عن مظاهرها. بل إن من أعظم مسؤولياته أن يحق الحق ويبطل الباطل، وأن ينفي التصورات الفاسدة في التوحيد والرسالة والمعاد، ويدعو إلى الصراط المستقيم الذي بينه الله في كتابه العزيز، من غير تردد ولا خشية ولا مواربة. لكن، مع ذلك، ليس له أن يصف أحدا من

المسلمين بالكفر أو الشرك ما لم تقم عليه الحجة البالغة، ولا أن ينفصل عن المسلمين في شعائرهم كالجمعة والجماعة، أو أن يقطع علاقاته الاجتماعية معهم، أو يسعى إلى تكوين جماعة منعزلة داخل الأمة المسلمة، كأنها أمة أخرى، فهذا انحراف عن منهج الدعوة الحق، وتجاوز لحدود ما شرعه الله لعباده.

الهوامش:

١١. الأعراف: ١٥٧

١٢. القلم: ٤، الأحزاب: ٢١

١٣. الطور: ٤٨

١٤. الجن: ٢٧-٢٨

١٥. سفر الأخبار الثاني: ٧-١٠، الملوك الأول: ٢٢: ٢٦-٢٧

١٦. الملوك الثاني: ١٩: ١-١٠

١٧. سفر الأخبار الثاني: ٢٤: ٢١

١٨. إرميا: ١٥: ١٠، ٢٠-٢٣، ٢٠: ٨-١

١٩. عاموس: ٧: ١٠-١٣

٢٠. مرقس: ٦: ١٧-٢٩

٢١. هود: ٧٤-٧٦

٢٢. الصافات: ١٣٩-١٤٨

٢٣. مسلم، رقم: ١٧٧





السيد منظور الحسن

نقله إلى العربية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

موقف الأستاذ غامدي من قضية نزول المسيح

[مقتبس من حوار الأستاذ غامدي مع محمد حسن إلياس]

(الحلقة السابعة)

ثانياً: إيمان أهل الكتاب بعيسى عليه السلام قبل موته
إنه قد جاء في آية ١٥٩ الفاظ: "وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا) (أي ولن يكون هناك أحد من أهل الكتاب
إلا وسيؤمن به أي بعيسى عليه السلام قبل موته (يعني قبل موت عيسى) ، وفي
يوم القيامة سيكون (عيسى) عليهم شهيداً". ويرى العلماء والمفسرون أن
الضميرين المفعولين في 'لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ' يُشير كلاهما إلى السيد المسيح
عيسى عليه السلام. فالمراد بالضميرين في الآية: وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ
بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ" هو.

ونتيجة هذا التفسير هو إثبات حياة النبي عيسى عليه السلام. والسبب هو
أن موت المسيح (عليه السلام) وإيمان أهل الكتاب به حسب الآية لا ينفصلان.
أي أن موته سوف يحدث عندما يؤمن به منكروه. فإذا كان موته قد وقع بمناسبة
صعوده إلى الله، كان لا بد أن يؤمن به اليهود الذين تأمروا على قتله قبل ذلك.
وبالمثل، كان من الضروري أيضاً أن يؤمن به كل يهودي منذ صعوده إلى الله، وأن
يظل العالم خالياً من اليهود باستمرار طوال الألفي عام الماضية. ويشهد التاريخ
أن أيّاً من هذين الحداث لم يحدث. وإن لم يحدث هذا، ولم يحدث قطعاً، فإن
ذلك يعني بشكل واضح أن النبي عيسى (عليه السلام) حي وبصحة جيدة، ولم

يصبه الموت.

على أن بعض المفسرين الآخرين يرون أن مرجع الضمير في 'لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ' هو السيد المسيح عليه السلام، ولكن مرجع الضمير في 'قَبْلَ مَوْتِهِ' هو كل فرد من أهل الكتاب، وهذا يعني أن يُفْهَمُ مِنَ الْآيَةِ: "وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ" أن كل يهودي سيؤمن برسالة النبي عيسى عليه السلام عندما يواجه الموت، وسيدخل في الإيمان به قبل لحظات من وفاته هو.

بناءً على ذلك، فإن موقف العلماء هو أن هذه الآية تؤيد وتؤكد روايات نزول المسيح. إذا جمعت معاني كليهما، يتبين أن مفهوم حياة ونزول المسيح عليه السلام هو حق. ويزداد هذا الموقف قوةً من قول أبي هريرة رضي الله عنه، حيث قدم الآية المذكورة من سورة النساء لتأييد أحاديث نزول المسيح ويفسر المفتي محمد شفيق عثمانى هذا الموقف ويقول:

"وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ أَهْلٍ كِتَابٍ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ والضمير في "موته" يعود إلى السيد المسيح عليه السلام، ومعنى الآية أن أهل الكتاب هؤلاء، وإن كانوا لا يؤمنون بالسيد عيسى عليه السلام الآن، فاليهود لا يعتبرونه نبياً، بل يعتبرونه العياذ بالله مفترياً وكاذباً، والنصارى رغم ادعائهم الإيمان به، لكنه في جهلهم يرى بعضهم أن عيسى عليه السلام قد قُتِلَ وَصُلِبَ كاليهود، وقد تطرف بعضهم في عقيدتهم إلى الحد الذي اعتبروه إلهاً أو ابن الله. ولكن الدلالة القرآنية في هذه الآية تبين أن هؤلاء الناس، ورغم أنهم لا يؤمنون الآن بالنبوة الصحيحة للسيد عيسى عليه السلام، عندما ينزل مرة أخرى على هذه الأرض قرب قيام الساعة، فإن الذين كانوا من أهل الكتاب سيؤمنون به إيماناً صحيحاً. وأن النصارى جميعهم سيصبحون مسلمين بالعقيدة الصحيحة أما اليهود الذين سيعارضون فسيقتلون، ويتحول الباقيون إلى الإسلام. في ذلك الوقت، يتم القضاء على الكفر بجميع أنواعه من العالم، وتكون السيطرة على هذه الأرض للإسلام فقط.

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه:

لقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم إن عيسى بن مريم ينزل حاكماً عادلاً

بالتأكيد ويقتل الدجال والخنزير، ويكسر الصليب، وفي ذلك الوقت تكون العبادة فقط لرب العالمين". وبعد ذلك قال أبو هريرة رضي الله عنه: "إذا شئتم فاقروا هذه الآية من القرآن الكريم، والتي دُكرت فيها هذه الحقيقة. (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) وكررها ثلاث مرات، أي قبل موت عيسى. وهذا التفسير للآية المذكورة مثبت برواية صحيحة عن الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه، حيث فُسرَت عبارة "قبل موته" بأنها تعني "قبل موت عيسى"، مما حدد بوضوح مفهوم الآية بأنها تتعلق بنزول السيد المسيح عليه السلام قرب القيامة.

بناءً على هذا التفسير، فإن هذه الآية ناطقة بأن وفاة عيسى عليه السلام لم تحدث بعد، بل عندما يقترب يوم القيامة وسينزل من السماء وسوف تتحقق الحكم التي ارتبطت بنزوله من الله جل شأنه، عندئذٍ ستحدث وفاته على هذه الأرض.

خلاصة الأمر أن الآية المذكورة "قَبْلَ مَوْتِهِ" عندما تُفسر بحديث صحيح جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، يتّضح منها حياة المسيح عيسى عليه السلام ومن ثم نزوله قبل القيامة ليغلب اليهود بالكامل. (معارف القرآن ٦٠٣/٢ - ٦٠٥) فيما يتعلق بالتأويل الثاني، يثار السؤال حول كيف سيتاح لأي فرد من أهل الكتاب في حالة موته المفاجئ، أن يدرك رسالة المسيح ويؤمن بها؟ في الإجابة على ذلك تُقدم أقوال عبد الله بن عباس رضي الله عنه. وقد دُكر فيها أن كل يهودي سيقرب بالضرورة بنبوة المسيح مباشرةً قبل موته. وقد نقل الإمام جلال الدين السيوطي هذه الأقوال في تفسيره "الدر المنثور":

قيل لابن عباس: أُرأيت إن خرّ من فوق بيت قال: يتكلم به في الهواء فقيل أُرأيت إن ضرب عنق أحدهم قال يتلجلج بها لسانه وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: لو ضربت عنقه لم تخرج نفسه حتى يؤمن بعيسى عليه السلام. (٧٣٣/٢)

دلائل نزول المسيح

يُستدل من الأحاديث على تصور نزول السيد المسيح عليه السلام من السماء إلى الأرض، ويقدم العلماء والمفسرون جميع الأحاديث المتعلقة بهذا الموضوع

كأدلة قطعية في تأييده.

فيما يتعلق بالقرآن الكريم، فلا توجد فيه أي نصوص تدل مباشرة وبشكل صريح على نزول المسيح ومع ذلك، حسب رأي العلماء، هناك بعض الآيات في القرآن التي تحتوي على إشارات تدعم نزول المسيح. وأهمها تلك الآيات المذكورة أعلاه المتعلقة برفع المسيح وحياته بالإضافة إلى ذلك، تساهم آية ٦١ من سورة الزخرف (٤٣) التي تستخدم فيها عبارة "وإنه لَعَلَّمُ للسَّاعَةِ" في الإشارة إلى نزول المسيح عليه السلام.

وهكذا، عندما نفهم آيات رفع المسيح وحياته مع أحاديث نزول المسيح ووفاته معاً، يتضح المخطط الكامل لله سبحانه. إذا قرأت الآيات، تجد أنها تثبت رفع المسيح عليه السلام وحياته وتبرز إشارات نزوله. وإذا نظرت إلى الأحاديث، تجد أنها تثبت نزوله ومن ثم وفاته. هذا الإثبات يلزم رفعه وحياته وبالتالي تصبح هذه الأحاديث مثبتة ومؤكدة لتلك الآيات المذكورة:

بعد هذه المقدمة، عليكم الآن الاطلاع على تفاصيل الدلائل المتعلقة بنزول

المسيح

أساس مفهوم نزول المسيح: الأحاديث

اتفق العلماء على أن تصور نزول المسيح مستند إلى الأحاديث وقد وردت الروايات حول هذا الموضوع بأسانيد صحيحة وحسنة في معظم كتب الحديث، وذكر فيها أن المسيح عليه السلام سينزل من السماء مباشرة إلى الأرض قرب القيامة. ويهبط على منارة مسجد في دمشق ويتولى قيادة جيش المسلمين. ثم يقتل الدجال وأتباعه من اليهود. وبفضل دعائه، يقضى على يأجوج ومأجوج أيضاً وتصبح الدنيا حينها مهد السلام والوئام ولن يبقى على وجه الأرض دين غير الإسلام. فيقول المولانا أبو الأعلى المودودي في "تفہیم القرآن" بعد سرد الأحاديث الممثلة لنزول المسيح:

"هذه إحدى وعشرون رواية وردت عن أربعة عشر صحابياً بسند صحيح في أصدق كتب الحديث. ... جميع هذه الأحاديث تخبر بوضوح وصراحة عن نزول ذلك عيسى عليه السلام الذي ولد قبل ألفين عام من غير أب من بطن مريم عليها السلام.... إذا كان أحد يؤمن بالأحاديث، فمن الضروري أن يعتقد

أن الذي سيأتي هو عيسى ابن مريم عليه السلام. وإذا كان أحد لا يؤمن بالأحاديث، فلا يمكنه أن يؤمن بمجيء أحد على الإطلاق، لأن الاعتقاد بمجيء القادم ليس مبنياً إلا على الأحاديث."

٢. تواتر روايات نزول المسيح

وعلماء الدين يعتقدون أن روايات نزول المسيح كثيرة ومتواترة أيضاً، طبيعتها ليست كأخبار الآحاد العامة التي تُروى عن قليل من الرواة. بل قد رواها عدد من الصحابة، وحدث عنها عدة رواة، ونقلها معظم المحدثين. فيقول الإمام ابن كثير إن روايات نزول المسيح قد بلغت حد التواتر. ووفقاً لهذه الروايات قال النبي صلى الله عليه وسلم أن عيسى عليه السلام ينزل مرة أخرى قبل يوم القيامة. في ذلك الوقت تكون مكانته كحاكم عادل. وجاء في تفسير ابن كثير:

"إنه قد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أخبر فيها بمجيئ المسيح عليه السلام قبل يوم القيامة والذي يأتي إماماً عادلاً مقسطاً."

(للبحث صلة ...)



القرآنيات



البيان

جاويد أحمد غامدي

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة البقرة

(٧)

قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِئَمَةَ فِيهَا قَالُوا لَنْ
جِئْتُ بِالْحَقِّ قَدْ بَحَرْنَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿١﴾
وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمُ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا
كَذَلِكَ يُعْجِبُ اللَّهُ الْفَاسِقِينَ وَيُرِيكُمُ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾
ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ
الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فِيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤﴾
أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْعُورُونَ كَلَّمَ اللَّهُ ثَمُودَ إِذْ وَفُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ وَإِذْ لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغُضْهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ
بِمَا فَعَتَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ
وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانٍ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ

ترجمة معاني القرآن باللغة العربية المستخرجة من تفسير "البيان" للأستاذ جاويد احمد غامدي. نقله إلى العربية: د. محمد غطريف شهباز الندوي.

يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلًا لَّهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٠﴾ وَقَالُوا لَنْ تَسَنَّاءَ النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَ أَمْرًا تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٣﴾

قال: إنه يقول: إنها بقرة لا تحرث الأرض ولا تسقي الحرث، ويجب أن يكون من لون واحد غير مشوب ولا مخلوط مع أي لون آخر. قالوا: الآن أدليت ببيان واضح. هكذا ذبحوها وماكادوا يفعلون ذلك. (٧١)

واذكروا الحادث عندما قتلتم رجلاً. ثم (اقسمتم بالله كذباً) واتهمتم بعضكم البعض على ذلك، وقضى الله أنه سيكشف ما كنتم تخفونه. فقلنا: اضربوه (الميت) قطعة من البقرة نفسها (التي تم ذبحها للقسم بها) فعاد القتل إلى الحياة والله يحيي الموتى إلى الحياة هكذا ويظهر لكم آياته، حتى تعقلون. (٧٢-٧٣)

(هذا ما استمرتم في فعله، حتى) أن قست قلوبكم بعد ذلك كما لو كانت حجارة أو أصعب منها. ومن الحجارة ما التي تجري منها الأنهار، ومن بينها ما يتشقق وينفجر منها الماء، ومن بينها ما يسقط من خوف الله. (فهذه حقيقة أن هذا ما كنتم تفعلونه)، والله لا يجهل بما تفعلونه. (٧٤)

ومع ذلك (أيها المسلمون!) هل تتوقعون (منهم) أن يطيعوكم؟ و (هؤلاء هم الذين) كانت جماعة منهم يستمعون إلى كلمة الله، وبعد فهمها جيداً، كانوا يحرفون فيها ويقومون بتشويهها عمداً. و(هم الذين) أن إذا التقوا بالمؤمنين قالوا: قبلنا وآمننا، وإذا كانوا وحدهم فيما بينهم، قالوا: أتحذرونهم بما أنزل الله عليكم ليحاجوكم على أساسه عند ربكم ألا تفهمون؟ ألا يعلمون أن الله يعلم كل ما يخفونه وما يكشفون؟ ومن بينهم الأميون الذين لا يعرفون ولا يعتبرون كتاب الله إلا مجرد مجموعة من رغباتهم فيتبعون أفكارهم المظنونة فقط. فالهلاك لمن يكتب الكتاب بأيديهم ثم يقولون: هذا من عند الله حتى يحصلوا منه على ثمن زهيد. لذا فإن الهلاك لهذا السبب للذين يختلقون الشريعة من أيديهم والدمار لهم

بسبب ما يكسبونه. وقد زعموا أن نار الجحيم لن تمسهم أبدا. نعم، يمكن أن يكون ألم لبضعة أيام من العد . فاسألوهم: هل عهدتم مع الله؟ لأنكم إذا أخذتم معه عهدًا، فلن ينتهك الله عهده تحت أي ظرف من الظروف، أو تتهمون الله بما لا تعرفون عنه شيئًا. نعم، ولم لا، أولئك الذين كسبوا بعض الشر وخطاياهم قد أحاطت بهم تمامًا هم أهل الجحيم سيعيشون فيه إلى الأبد. والذين آمنوا وعملوا الصالحات هم أهل الجنة. سوف يعيشون فيه إلى الأبد. (٧٥-٨٢)

(يتبع ...)



المعارف النبوية



الأحاديث

انتقاها: جاويد أحمد غامدي

— ١ —

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ." (متفق عليه - صحيح البخاري رقم ٢٥)

— ٢ —

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: "أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها عصم مني ماله ونفسه إلا بحقها وحسابه على الله؟" فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق.

(السنن الكبرى للنسائي، رقم ١٠٩٦٦)

— ٣ —

روى الإمام الترمذي في سننه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "قال رسول الله ﷺ: "أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فَإِذَا قَالُوهَا، وَصَلَّوْا صَلَاتِنَا، وَاسْتَقْبَلُوا قِبَلَتَنَا، وَدَبَّحُوا ذَبِيحَتَنَا، فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا، وَلَهُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ." (رقم الحديث ٢٦٠٦)

مقامات



جاويد أحمد غامدي

ترجمة من الأردية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

مقامات

(الحلقة السادسة)

مدرسة شبلي الفكرية

قال الشاعر الفارسي ما مفهومه:

أيها الناس تعالوا واصنعوا الحلقة حولي فإنني أحوز في صدري إحترافاً ورثته
من آباءكم واسلافكم.

إنه قد مضى ثلث الليل وأنا عاكف على طاولة دراسي. وقد ألقت آلة التكييف
كل الحر للحجرة إلى الخارج ولكن كيف تجد الطريق إلى حرقه الصدر التي
مازالت تشتعل مدفتها منذ أعوام طويلة. وقد كان مراراً وتكراراً أن ألقى بعض
شعلاتها في الرماد الخامد هنا وهناك كي حصل لي بعض القرار ولكن هل تقل
من ذلك حرارة الشعلة الفائرة؟

وقد قلت شعراً غزلياً برجاء لعلي جاءني القرار هكذا إلا أنه لا تقل شدة
حرقه الشعلة بفتور شرارتها.

غير أن هذه الشرارات مندفة جياشة اليوم إلى أن تشارك بهذه النار مع الآخرين
كما صور ذلك الشاعر الفارسي بقول ما مفهومه:

تجيش وتندفع شعلة من قلوبنا المحترقة المفترقة فإن النار قد جاشت اليوم

واندفعت من قلوبنا الفائرة.

فإن عام ١٨٥٧م عام حيث غربت شمس السيادة الإسلامية في القارة الهندية ومع ذلك فهو عام أيضاً، حيث طلعت شمس آخر على مطلع الأمة الإسلامية فقد ولد الشيخ الشبلي في نفس العام. فهو كما قال تلميذه الرشيد العلامة السيد سليمان الندوي: ولد في اضطراب الشرق وودع الدنيا في اضطراب وفوضى الغرب في سنة ١٩١٤م. فهذا هو عهده الذي فيه قد تعرفنا على الحضارة الغربية تعرفاً ملموساً مشهوداً لأول مرة وكانت النتيجة أن افترقت الأمة إلى فئتين مختلفتين تماماً. فإن الفئة الأولى منهما قد أصرت وألحت على أنه لا يمكن فهم القرآن والسنة وتفهميهما منعزلاً عن أصول ومبادئ لمدرستنا الخاصة وحياداً على آراء ومذاهب أكابرنا في جانب ولا تستحق الحضارة الغربية وعلومها ولا تجدر أن ينظر إليها أهل الدين والملة ويدرسونها في جانب آخر. وكان من أعظم رجال هذه الفئة من أمثال قاسم النانوتوي ورشيد احمد الكنكوهي ومحمود حسن الديوبندي وأنور شاه الكشميري وحسين أحمد المدني وأشرف على التهانوي وشبير أحمد العثماني وآخرين. وكانت هناك طائفة أخرى، تعطي كل الاعتبار لهذه الحضارة وعلومها وتعتبرها معياراً للحق والباطل. وكان يتزعمهم ذلك الشيخ المبجل الذي قال شبلي نفسه:

يجوز بقليل من الإعوجاج في ظهره بسبب الشيخوخة وهو متسجد كله في التوقير والتبجيل.

وصار شبلي مؤسساً مدرسة فكرية ثالثة بالمقارنة لكلتيهما. ابتنيت على مبدئين: مبدأ الرجوع إلى عصر الرسالة حين ينزل القرآن وكان الرسول بنفسه يدعو الناس إلى الإسلام والثاني أنه من مقتضيات ومتطلبات القديم أن نطلع على الجديد أيضاً اطلاعاً على القديم وكان من رجالات الفكر لهذه المدرسة أمثال السيد سليمان الندوي، ابوالكلام آزاد، ابوالاعلى المودودي وحמיד الدين الفراهي وأمين أحسن الإصلاح. ألقب هذه المدرسة "بمدرسة شبلي". وكان اقبال أيضاً منتبهاً إلى هذه المدرسة في أكثر الأحيان. وكان صوته صوتاً ما أجمله وما أروع. وشعره يُعد من الأدب العالي ولكن بسبب انتماءه إلى الفلسفة والتصوف كان كما رأيناه مثلاً في تاريخنا العلمي قبل ذلك عند الغزالي. أنه شغف قلبه غزال جميل

وأراد اصطیاده فلما أخرج نبلة من كنانته ووضعها في قوسه ورمق صيده فإذا به قد أخطأ ووقع النبل في صدر صيد آخر وكان كما قال الشاعر الفارسي:
اليوم كنت أحوز في قوسي نبلاً بتوفيق من الله ووقع نظري على غزال جميل
جدا وأخطأت.

وكان السيد سليمان الندوي قد خلف شبلي لكن من الحقيقة أنه كان من الفئة الأولى فقد أثبت فعلاً هذا الأمر أن بايع الشيخ أشرف علي التهانوي. وربما نعتقد أن الشيخ عبد الماجد الدرايبادي أيضاً كان فرداً من مدرسة شبلي ولكن قصة حياته تحكي لنا حكاية أخرى فإنه خرج من مدرسة الإلحاد وبلغ رأساً إلى زاوية تهانه بهون، وكان أبو الكلام آزاد عبقرية لهذا العصر فقد تأثر بكتابته وخطابته زمانه تأثراً كبيراً. فكان شأنه إذا طلع في مسرح الوقت أن قد طويت له وسعات الصحاري وانكسرت كذلك امواج الأنهار في وجهه غير أن ناقة علمه وفضله قد فقدت في غبارها هي.

وكان أبو الأعلى عالماً كبيراً كما كان كاتباً قديراً وأديباً مصقعا له طراز خاص في الإنشاء والكتابة. وكان يتمتع بجمال الفطرة وحسن المزاج. فقد سار على درب أبي الكلام بعده بشأن أن فكر كل من رآه أنه لا ينتهي إلا أن يقطع الطريق كله ويبلغ منزله. ولا ريب أنه قطع شوطاً بعيداً ورغم ذلك كم تخلف يُقدر ذلك كل من يلقي النظرة الحافظة إلى ما ذهب إليه في تفسير "فقد صغت قلوبكما" مقارنة ما كتبه في هذا المقام الشيخ الفراهي. فقد رأيته في أواخر أيامه بقرب قريب جدا. ومنعني الأدب وإكرام الكبار وإلا فقد دار في خلدی مرات عديدة أن أقول له ما عبر به الشاعر الفارسي بقوله:

أنشر شعرك وأصفر صفارة من شجرة الطوبى. والأسف كل الأسف عليك
أنك طائر لا يغرد وصار محبوساً في القفس.

ففي هذه المدرسة الشخص الذي يصدق عليه أن يقال له إمام العصر هو حميد الدين الفراهي وحده. فكان آية من آيات الله في هذا الأرض واستمع إلى السيد سليمان الذي رثاه في وفاته:

"الصلاة على ترجمان القرآن كانت نداء علت من منابر مصر والشام إلى حدود الصين للصلاة على جنازة ابن تيمية رحمه الله قبل ستة مائة ونصف عام منذ اليوم.

ويجدر أن يعلو هذا النداء مرة أخرى اليوم وينتشر من الهند إلى أنحاء مصر والشام، لأن ابن تيمية العصر الحاضر قد غادر الدنيا في ١١ نوفمبر ١٩٣٠م وفقا لجمادى الأخرى ١٣٤٩هـ. والذي لا نرجو أن يولد شخص آخر في العالم الإسلامي فائزا بمثل فضله وكماله. والذي كان معجزة العصر الحديث في الجمع بين قديم الشرق وجديد الغرب، نابغة العربية، متخرج في الانجليزية، صورة الفضل والزهد والورع، تجسيم الفضل والكمال، بلبل شيراز بالفارسية، وسوق عكاظ بالعربية، شخصية فذة ولكن عالم المعرفة ودنيا العلم وكون العرفان، مجمع الكمال المنغرل، وسلطان الأدب الفقير. الفذ في العلوم الأدبية مخزن العلوم العربية ناقد بصير في العلوم العقلية وصاحب حذاقة في العلوم الدينية مطلع على أسرار علوم القرآن، وعلامة رموز القرآن مستغنى عن ذخارف الدنيا وأهلها، لايبالي ولا يكثرث بأخذ ورد أو قبول وتحسين الناس. المعتكف في زاوية العلم وملك عالمه هو.

الشخصية التي ما زالت عاكفة على فهم القرآن والتدبر فيه ودرسه وتدريسه كانت ومنصرفه من كل شئ وراغبة عن كل شغل سواه منذ ثلاثين عاما، ونأسف على أنه قلما انتقل علمه من صدره إلى عالم الواقع والكتابة. وخلف مسودات كثيرة وبالأسف ليس هناك من يقوم بتدوين وترتيب تلك المسودات وإشاعتها. والعديد من الرسائل التي صدرت له هي في اللغة العربية، التي لايقدر لها العلماء أنفسهم فضلا عن العوام. وكانت حياته رأس مال اعتمادنا وثقتنا وجوده كان عموداً لدار المصنفين ونتأسف على انعدام هذا الاعتماد والعمود، نعم قد بقي اعتماد الله سبحانه الذي لا اعتماد لغيره في الحقيقة. ومما نزداد أسفا على أن الشخصية كهذه جاءت وذهبت ولم تعرف الدنيا قدرها ومنزلتها ولم تعرف فضلها وكمالها: كما قال الشاعر الفارسي ما مفهومه:

مما يبعث على الأسف جدا أنك يا نظيرى قد جئت من السماء مثل المسيح
ثم ذهبت أيضا راجعاً ولم يقدر لك أحد حق قدرك.

وهذه الشخصية قد تشرفت وحدها أنها بدأت رحلتها فلم تترك لها طريقا ولذا هو وحده وصل إلى المنزل بين جميع السالكين لهذا الطريق. والاستاذ أمين أحسن هو تلميذ رشيد لنا بغة العصر كهذا إن لم يبلغ منزل الاستاذ فلم يتخلف

عنه أيضا، فإن المقام الأعلى الذي وصل إليه حميد الدين قد قضى أمين أحسن طول عمره في شرح رموزه وكشف أسرارهِ. فجاء تفسيره تدبر القرآن كتابا فذا في مجال العلم والتحقيق. وإذا استمعت إلى ماجرى في الخمسين سنة من لسان قلمه الرشيق لكان كما قال عرفي الشاعر الفارسي ما مفهومه:

إن رحمة يتكلم في ميدان القتال وفي وقت الصلح تتوسع جبهته توسع الملوك.
والناس الذين ظل فيهم طول عمره قلما كان فيهم مؤهلون لمعرفة فضله
وكمالهِ، وكم شهدت في مجالسه أن تُحل عقداً القرون في لمحات، وكم اعترفت
أنه:

هذا الطريق يقضيه في لمحة رعد البرق ونحن - المتغفلون - ننتظر إلى
الشمعات والسرج.

ونعود إلى موضوعنا فإن الطائفة الأولى قد انصرف وقتها وطال عمرها وهي
الآن كبناء عتيق يبلي ويتهدم بنفسه عند بناء جديد. والطائفة الثانية وإن كانت
متسلطة على أماكن الشرف والسيادة ولكن التاريخ قد فرغ من قضاءه أن
ذلك أيضا سوف يذهب إلى مذبلة التاريخ كمثل الضلالات الأخرى ولم يبق لها
رسم إلا في صفحاته. فإمامة العهد القادم مقدرة لمدرسة شبلي. كأن التاريخ يستعد
خلف الستر لاستقبال ظهور هذه المدرسة في منصبه وقال اقبال:

إن العالم الجديد في خفاء الآن ولكني أنظر طلوع سحره بلا حجاب.
ولكن ما هو أحوال هذه المدرسة نفسها؟ قد توفي السيد سليمان الندوي
وخلفه أبو الحسن علي الندوي ولكنه مثل استاذهِ هو في ديوبند أكثر منه في الندوة.
وودع أبو الكلام آزاد هذا العالم وحيدا فريدا. وخلف أبو الأعلى المودودي جماعتين.
جماعة إدعت وراثته وجماعة تدعي أنها هي الأخرى وارثته الحقيقية ومن هنا
يدعون متبعيهم إلى أخذ البيعة للسمع والطاعة بإسمه. وكلتا الجماعتين ورثتا
أشياء كثيرة من أبي الأعلى المودودي ولكن بالأسف لم يرثوا جزءاً من علمه
وأدبه وجمال فطرته. ولذا لم يكن لهم بد من الاستمداد من المدرسة الأولى ولا
ينالون منها إلا الطرد والرفض إلى أن يتكلفوا كفارة "كل خطأ" لمدرسة شبلي. نعم
في هذه الجماعة أناس يستطيع شخص أن يقول عنهم - إذا شاء - إنهم مثقفون
ولكن الحقيقة التي لا تجحد أنهم لا مكانة لهم إلا أنهم يقومون بشرح وتفسير

متن أبى الأعلى المودودي رحمه الله، ولعل العرفي قد قال فيهم قبل قرون:
لا تخرج قدميك من الجهل أو كن فلاتونا. لأن الجلوس في الوسط هو
السراب والعطش.

والآن البقية الأخيرة لمدرسة شبلي هو الأستاذ أمين أحسن، ولكن كم من
تلامذته وأحباءه يعرفون هذه الحقيقة ويدركونها؟ وأراني أحترق بنار هذا الإحساس
المشتعل في صدري منذ عشر سنوات وأكثر. فإن نيرانها تكاد تحمد في رمادها
ولا تحمد، فنارها دائما في اشتعال في قلبي، فمرة اشتهي أن أنادي أخلاف أبى
الأعلى:

إنه أمرضكم كل الأفراد الغير المؤهلون، فهلموا إلى أمكم لتكون لكم
شفاء

وتارة يخيل إلي أن أنادي حلقة أمين أحسن.
أنا الذي لم أترككم ولكن ماذا أفعل بالمتكاسلين فإن قافلة الوقت
لمسرعة جدا.

وأنظر أن قلبي قد جف هنا، ولم يمر بي هذا الحدث لأول مرة. فإني حينما
بدأت أحكي هذه القصة اختتمت حينما بلغت إلى هذه النهاية. فتارة لم تصاحبني
اللفظات وتارة تعقدت المعاني. وتارة نام المستمعون واليوم لم يبلغ القلم إلى هذا
المقام أن انكسر. ولعل ذلك تذكرة لي أنه هـ
حكاية اشتعال واحتراق الشعلة لاتقل للكوخ والخس.

[١٩٨٧م]

(للحديث صلة ...)



الدين والمعرفة



ميزان

جاويد أحمد غامدي

ترجمة من الأردية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

ميزان

(الحلقة السادسة)

وكل سورة نزلت في هذه الخلفية وكل أبوابه ترتبت من هذه الناحية. فرعاية تلك الأشياء التي يجب أن يكون أمام كل طالب للقرآن في تفسير القرآن وتوضيحه لازمة وهي كالتالي:

أولاً: يجب أن يتعين زمان نزول كل سورة بطريق التدبر فيها حسب مراحل الدعوة النبوية هذه بطريق يطمئن عنه القول مثلاً إنها نزلت في زمن الإنذار أو في زمن المهجرة والبراءة وزمن الجزاء والعقوبة. ويفهم مدلول كل آية بهذه الخلفية.

وثانياً: يجب في كل سورة تحديد مخاطبيها الأصليين هل هم مشركو عهد الرسالة، أهل الكتاب المنافقون، أو الرسول وأصحابه المؤمنون أو جماعة خاصة للمخاطبين. كما يجب تحديد الالتفات إلى أي شيء يتوجه وإلى أين، ثم يجب أن يوضح مرجع كل ضمير ومعهود كل لام التعريف ومصادقية كل تعبير في ضوء ذلك.

ثالثاً يجب أن يتعين بكل تحقيق وبخاصة عن آيات غلبة الحق والاستخلاف في الأرض وآيات الجهاد والقتال أنه أي شيء فيها حكم ثابت للشريعة وقضاء

أبدي إلهي وأي شيء قانون خاص لمخاطبي الإنذار والرسالة لم يبق بعد للناس الآن.

نظم الكلام

وثامناً أن القرآن لكل سورة منه نظم متعين للكلام. وليس هو مجموعة للإرشادات المتفرقة والهدايات المتباينة. بل له موضوع خاص ومعظم آياته تتعلق به، بترتيب حكيم ومناسبة مترابطة. فإذا درست كل سورة له من خلال وضع هذا الموضوع في المقدمة عند الدراسة، واتضح نظامها اتضحاً تاماً برعاية الموضوع، رأيت أنها تتكون بذلك وحدة جميلة جداً. وما هي قيمة وقدرك ذلك النظم؟ يقول عنه الأستاذ الإمام أمين أحسن:

"إن هذا الخيال عن النظم أنه من قسم اللطائف العلمية فقط ولا قيمة له اعتباراً بمقصد أصلي للقرآن خطأ محض. وعندنا القيمة الأصلية للنظم تقع في الوصول إلى معارف القرآن وحكمته إذا أمكن، يمكن أن يكون من خلال نظمه فقط، فمن يقرأ القرآن بدون إرشاد للنظم جل ما يحصل عليه هو الأحكام المفردة والهدايات الشتى المتفرقة.

نعم قد تكون قيمة كبيرة للأحكام المفردة والهدايات الجزئية لكتاب أعلى وأرفع ولكن شتان ما بين أن تعلم تأثيرات وخواص للحشائش من أي كتاب المفردات الطبي وبين أن يقوم طبيب حاذق بترتيب نسخة ذات تأثير بالغ قوي. ويمكن أن تكون التوابل المستخدمة في بناء "التاج محل" (١) قد استخدمت في العديد من المباني المتفرقة حول العالم، ولكن "التاج" هو التاج وحده. فأقول بلا شبهة أن الألفاظ والتراكيب التي تتركب منها القرآن الكريم هي تتصل على كل حال باللغة العربية، باللسان العربي ولكن الترتيب اللاهوتي للقرآن قد أضفر عليها جمالاً وكماً لا يقارنه شيء على وجه الأرض.

يشير إلى أجمل البنايات وأمتعها في العالم والذي بناه الملك المغولي المسلم شاه جهان في بلدة آغرة بالهند مقبرة تذكارية لزوجته الحبيبة "ممتاز محل" بعد موتها.

وكما تكون شجرات عائلية تكون كذلك شجرات للحسنات وللمساوي. وربما نخال حسنة أنها تافهة ولكنها تتصل بعائلة من الخيرات التي تتفرع

عليها كافة الحسنات الكبيرة، وأحياناً نعتقد سيئة حقيرة غير أنها تتعلق بأسرة من المساوي، تتفرع منها الأمراض والمهالك كافة. ومن يريد أن يتفقه حكمة الدين لا بد له من معرفة المراحل والمراتب للخير والشر معرفة جيدة، ولا يخاف أن يضع في اعتباره المرض الذي يشعر إلى عسر الهضم مقدمة للبرد ويعتقد علاج حدوث البرد كحالة من عسر الهضم. وهذه الحكمة القرآنية لا تتوضح من أجزاء كلامه بل من نظم كلامه كلياً. فالذي يعرف آيات لسورة من القرآن ولكن لا يعرف النظم الحكيم لتلك الآيات، لا يقف على تلك الحكمة المشار إليها آنفاً. وكذلك قد أوضح القرآن الكريم دلائل الأنفس والآفاق أو دلائل تاريخية على المبادئ الأصولية في سور مختلفة. وهذه الدلائل قد بينت بترتيب حكيم تام. فمن وفق على ذاك الترتيب المتناسق إذا تلا تلك السورة تلاوة تدبر أحس وشعر كأنه قد قرأ خطبة جامعة مستدلة تشرح الصدر، وعلى عكس منه الذي لا يعرف ذاك الترتيب فهو يحرم تماماً من حكمة السورة مع أنه يعرف الأجزاء". (تدبر القرآن: ٢٠/١-٢١)

ثم إنه قد أوضح أهمية النظم من ناحيتي الاجتماعية والسياسية كما يأتي: "وكل شخص يعلم أن هذه الأمة اجتمعت شرازمها وجمعت كلمتها بطريق القرآن الكريم، وبحيل الله المتين وأمر المسلمون كلهم أن يجتمعوا ويتشبهوا بهذا الحبل تشبهاً محكمًا، وأن لا يتفرقوا. والمقتضى الفطري لهذه الهداية أن الخلافات المتولدة بيننا مهما كانت، نرجع إلى القرآن للحسم فيها ولكن من سوء حظنا أن آراءنا لم تتفق في القرآن أيضًا فهناك أقوال كثيرة في تأويل آية واحدة يناقض بعضها بعضًا، ولا يوجد عندنا شيء يفصل فيها أيها قول حق. وإن كان هناك خلاف في تأويل كلام فأكبر شيء يطمئن إليه القلب في رفع ذاك الخلاف سياق ذاك الكلام وسياقه لا غير. ولكن المصيبة الأعظم في القرآن أن الناس لا يعتقدون فيه نظامًا. فكانت النتيجة أن أي خلاف ثار بيننا قد أرسخ علمه وعرز رأيته. والكثير من اختلافات الفقه الإسلامي قد ثارت بعدم النظر في الكلام برعاية النظم وسياق الكلام، وإلا إذا لاحظنا السياق ونظم الكلام لوجدنا أن المقامات الكثيرة بحيث لا يوجد فيها متسع لإطلاقات أخرى ما عدا قول واحد.

والأخطر من الاختلافات الفقهية هو ضلالات الفرق الضالة. فمعظم الفرق الضالة التي ولدت فينا قد استدلوا بآيات القرآن نفسها. قد قطعوا آية من سياقها وسباقها ثم وضعوا لها معنى جاء لهم. والظاهر أنه يسع لك أن طبقت معاني كثيرة إذا أردت بعدت الكلام عن سياقه وسباقه، وربما تكون بعض تلك المعاني مما لا يتصورها القائل أبداً. وإن لم أخف طول الكلام يمكن لي أن أحيل إلى آيات كثيرة، تستخدم في الخطابات والكتابات ليس فقط في المعنى الخاطئ بل في المعاني المضللة جداً. ولا يوفق أحد أن يتجشم النظر في أية مناسبة قد جاءت الآية، وما هو سياقها وسباقها. فإن عندهم كما قلت، ليس هناك سؤال لنظم الكلام وتناسب الآيات في القرآن من أساسه."

(تدبر القرآن ٢١/١-٢٢)

فوضح من ذلك أن الشيء الذي يجعل القرآن برهاناً قاطعاً ويثبت له أحقية ما قاله الإمام الفراهي:

"القرآن لا يتحمل إلا تأويلاً واحداً (رسائل الإمام الفراهي: ٢٣)

هو نظم القرآن وحده. ويقول الأستاذ الإمام في تفسيره في ذلك: "وبما أنني أعرت لنظم الكلام أهمية كبيرة في تفسيري هذا ولذا إنني أخطرت قولاً واحداً في كل مكان، بل إن أردت بيان الحقيقة في تعبير أصح لقلت إنني اضطررت لأختار قولاً واحداً، لأنه بعد رعاية نظم الكلام لم يكن هناك إمكان لشخص أن يتيه في أودية مختلفة، والقول الصحيح الثابت يظهر منطقاً بطريقة أنه إذا لم يكن المرء أصم وأعمى متعصباً يمكنه أن يضحى بحياته ولكن لا يحتمل الانحراف عنها." (تدبر القرآن ٢٢/١)

وهذا النظم للقرآن هو الذي من سببه، حين تحدى القرآن مخاطبيه فقد تحداهم للإتيان بسورة أو أكثر وليس لإتيان آيات متفرقة كما قال تعالى:

"وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ." (البقرة ٢: ٢٣)

وقد قال في موضع آخر:

"أَمْ يَقُولُونَ: اقْرَأْ، قُلْ، فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيٍّ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ." (هود ١١: ١٣)

وقد قام أئمة المدرسة الفراهي في تفاسيرهم ببرهنة هذا النظم بطريقة لم تترك مجالاً للبحث والنقاش في وجود أو عدم وجوده، ولكن ما هو نوعية هذا النظم؟ فصلها فيما يأتي بصورة نكات متعددة.

١ - لكل سورة موضوع يؤلف بين أجزائها ويوحدها. والذي يؤلف مضمون السورة ويسري في وجود كل سورة مثل الروح.

٢ - وتحوز كل سورة عامة بتمهيد وخاتمة. ويمكن لما توسيع مضمون السورة في بعض السور إلى فصول وجمل، وإلى جمل فقط في بعضها. والجمل تبرز وقفات المضمون والفصول تبرز تغيراته، كما أن آيات التمهيد والخاتمة أيضاً تقسم إلى جمل باعتبار المضمون في بعض المقامات.

٣ - وهذه الجمل لا تشكل كلاماً مربوطاً بطريقة ربط الآيات بل يتعلق بعضها من بعض بأساليب التمثيل، التعليل، التأصيل، التكميل، السؤال والجواب، التفرع، النتيجة والإيراد، التنبيه والتقابل والتشابه، العود على البدء الاستدراك والجوانب الأخرى مثلها، وتجعل السورة كلاماً مربوطاً.

٤ - ويبلغ مضمون السورة في هذه الجمل والفصول إلى تمامه بارتقاء تدريجي. فتحصل السورة بنتيجة ذلك صورة مفردة ومتعينة وتصير في وجودها وحدة كاملة تامة من كل جانب.

(يتبع ...)

آثار الصحابة



تفهم الآثار

الدكتور محمد عمار خان ناصر

ترجمة من الأردية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

آثار أئمة أهل البيت عن الصحابة رضي الله عنهم

آثار سيدنا علي رضي الله عنه عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

(١٠)

(١)

عَنْ أَبِي مُوسَى، أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: عُمَرُ، وَلَوْ شِئْتُ لَأَخْبَرْتُكُمْ بِالثَّالِثِ. (المعجم الكبير، طبراني، رقم ١٧٥)

الشرح

كان من المعروف والمسلم به بين الصحابة في حياة النبي ﷺ أن أبا بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه هما أفضل شخصيتين في الأمة الإسلامية. وقد ورد ذكر هذا الأمر في عدة روايات نبوية، تبين بوضوح منزلة هذين الصحابييين الجليلين.

فعلى سبيل المثال، يروي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

قال: كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فنخير أبا

بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان. (صحيح البخاري، رقم الحديث: ٣٦٩٧)

ورواية الطبراني تزيد عليه زيادة آتية:

ويسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينكره.

(المعجم الكبير، رقم ١٣١٣٢)

ويقول بالمثل أبوهريرة رضي الله عنه:

كنا نعد وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرون: خير هذه الأمة

بعد نبيها أبو بكر وعمر. (فضائل الصحابة، ابن حنبل، رقم ٤٧)

وقد روي عن سيدنا علي رضي الله عنه أنه عبّر عن هذا الأمر في مناسبات عدة، ويُعدُّ الأثر المنقول عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه من بين هذه المناسبات التي أشار فيها إلى ذلك.

التخريج و اختلاف الطرق

نُقل هذا القول عن سيدنا علي رضي الله عنه عن جماعة كبيرة من الصحابة والتابعين. وفيما يلي تفصيل من رواه من الصحابة:

يُروى هذا الأثر من طريق أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ويبدو أنه لا يوجد في أي مصدر سوى "المعجم الكبير" للطبراني. وقد رواه أبو نعيم أيضًا في كتابه الإمامة والرد على الرافضة (رقم ٥٩) من طريق أبي موسى الأشعري رضي الله عنه كحديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم. ومع ذلك، فالراجح أن ذلك من قبيل وهم الراوي.

يروي أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنه في إحدى المناسبات حصلت بينه وبين سيدنا علي رضي الله عنه مناقشة حول مسألة المشي أمام الجنازة أو خلفها. وعندما أشار أبو سعيد إلى عمل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في هذا الباب، قال له سيدنا علي رضي الله عنه:

إن خير هذه الأمة أبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب، ثم الله أعلم

بالخير أين هو. (مصنف عبد الرزاق، رقم ٦٠٦٥)

٣- وقد نقل هذا الأثر عن أبي جحيفة وهب بن عبد الله السوائي في المصادر

التالية:

مسند أحمد، رقم ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢- مصنف ابن أبي شيبة، رقم ٣١٣١١- المعجم الأوسط، للطبراني، رقم ٧٥٢٣- فضائل الصحابة، ابن حنبل، رقم ٣٦، ٣٧- تاريخ دمشق، ابن عساكر ١٩٦/٤٤-

وفي طريق قد بين أبو جحيفة مناسبة ورود هذا الأثر كما يأتي:
لما كان يوم الجمل تشاجر الناس في أبي بكر وعمر، فقال علي: الصلاة جامعة فقال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر والثاني عمر.

(تاريخ دمشق ٢٠٢/٤٤)

وقد وردت ألفاظ آتية لهذا الأثر في طريق لأحمد في مسنده:
خطبنا علي فقال: من خير هذه الأمة بعد نبيها؟ فقلت: أنت يا أمير المؤمنين، قال: لا، خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، وما نُبِعُ أن السكينة تنطق على لسان عمر. (مسند أحمد، رقم ٨٢١)
ويزيد أبو جحيفة في طريق زيادة آتية:

فرجعت الموالي كلهم يقولون عنى عثمان ورجعت العرب وهم يقولون عنى نفسه. (تاريخ دمشق ٢٠٣/٤٤)
وقد جاء في طريق:

ثم نزل على من المنبر وهو يقول: عثمان عثمان. (حلية الاولياء، أبو نعيم، رقم ١٢٩٢٦- تاريخ دمشق، ابن عساكر ١٥٦/٣٩- تاريخ بغداد، خطيب ٧/ ٧٢- معجم أسامي شيوخ أبي بكر الاسماعيلي، رقم ٨٦- ستة مجالس، أبو يعلى الفراء، رقم ٤١)

وفي طريق آخر نقل أبو جحيفة هذا الأثر في صورة حوار له أجراه مع علي رضي الله عنه:

عن أبي جحيفة، قال: كنت أرى أن علياً أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم - فذكر الحديث - قلت: لا والله يا أمير المؤمنين، إني لم أكن أرى أن أحداً من المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل منك. قال: أفلا أحدثك بأفضل الناس كان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: قلت: بلى، فقال: أبو بكر، فقال: أفلا أخبرك بخير الناس كان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر؟ قلت: بلى. قال: عمر. (مسند أحمد، رقم ١٠٣١)

إضافةً إلى الصحابة المذكورين، فقد روى هذا الأثر ابن عساكر أيضًا من طُرق أبي هريرة، وابن عباس، وأنس بن مالك رضي الله عنهم (تاريخ دمشق ٣٠/٣٥١، ٤٤/٢١٣).

كما ورد هذا الأثر في بعض المصادر من رواية أبي الطفيل عامر بن واثلة (المعجم الأوسط للطبراني، رقم ٥٧٠٥) وعمرو بن حريث (المعجم الكبير للطبراني، رقم ١٧٦؛ تاريخ دمشق ٤٤/٢١٣).

ومن التابعين، فإن أبرز من روى هذا الأثر هو محمد بن الحنفية، ابن سيدنا علي رضي الله عنه، حيث قال:

قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول: عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين. (رواه البخاري، رقم ٣٥٠١)

وقد تم نقم هذا الحوار لمحمد ابن الحنفية في المصادر التالية:

سنن أبي داود، رقم ٤٠٧٦- مصنف ابن أبي شيبة، رقم ٣١٣٠٦- المعجم الاوسط، للطبراني، رقم ٧٧٦٥- حلية الأولياء، لأبي نعيم، رقم ٦٦١٦، ٦٦١٧- فضائل الصحابة، ابن حنبل، رقم ١٣٦- شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي، رقم ٢٥١٨- السنة، ابن أبي عاصم، رقم ١٢٠٧- تاريخ بغداد، للخطيب ١٣/٤٦٢- تاريخ دمشق، ابن عساكر ٣٠/٣٤٧-

من أبرز التابعين في هذا السياق هو عبد خير، الذي كان من خواص أصحاب سيدنا علي رضي الله عنه. وقد روى عنه هذا الأثر بأسانيد متعددة الإمام أحمد في "المسند" و"فضائل الصحابة" (المسند، رقم ٨٩٢، ٨٩٣؛ فضائل الصحابة لابن حنبل، رقم ٣٨).

وقد روى هذا الأثر عن عبد خير حبيب بن أبي ثابت، حيث قال: "سألت عبد خير: هل سمعت هذا القول من علي بنفسك؟ فقال: نعم، ورب الكعبة، وإلا فصمتا، أي: نعم، أقسم برب الكعبة! وإن لم أكن سمعته فلتصم آذاني" (مسند أبي يعلى، رقم ٥١٧؛ مسند أحمد، رقم ٨٩٣).

وفي بعض الروايات الأخرى، يذكر عبد خير أن سياق هذا الأثر كان عقب معركة الجمل، حين ألقى سيدنا علي هذا الخطاب عند الاستعداد لمعركة النهروان

ضد الخوارج. (تاريخ دمشق ٣٠/٣٦٧)

وفي إحدى الروايات، يأتي بعد ذكر سيدنا عمر رضي الله عنه هذا القول:
ثم يجعل الله الخير حيث أحب. (مسند أحمد، رقم ٩٠٦، ١٠٠٨).
وفي بعض الروايات الأخرى، وردت العبارة الأخيرة بصيغة:
وإنا قد أحدثنا بعدهم أحداثاً يقضي الله تعالى فيها ما يشاء. (مسند أحمد،
رقم ٩١٠، ١٠٠٩)

وفي إحدى الروايات التي نقلها ابن أبي شيبة، جاءت ألفاظ الأثر بصيغة
مختلفة...:

سمعت علياً يقول: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على خير ما قبض
عليه نبي من الأنبياء، قال: ثم استخلف أبو بكر فعمل بعمل رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبسنته، ثم قبض أبو بكر على خير ما قبض عليه أحد، وكان
خير هذه الأمة بعد نبيها، ثم استخلف عمر فعمل بعملهما وسننهما، ثم قبض
على خير ما قبض عليه أحد، وكان خير هذه الأمة بعد نبيها وبعد أبي بكر.
(مصنف ابن أبي شيبة، رقم ٣٦٣٧٩)

وقد جمع ابن عساكر روايات هذا الأثر عن جماعة كبيرة من التابعين، منهم:
زَرَّ بن حبّيش، وَتَزَال بن سَبْرَة، وعمر بن معدى كرب، والحارث بن عبد الله،
وأبو الجعد الأشجعي، وعمر بن شَرْحِبِيل، ومُسْعَدَة البجلي، وأبو هلال العتكي،
وعبد الله بن سلمة، وعبد الرحمن بن الأصْبَهاني، وشريك، وأبو محمّد، وأبو حازم،
وزيد بن وهب، وإبراهيم التَّخَعِي، وطلحة بن مُصَرِّف، وأبو إسحاق، وعلي بن
شُعْبَة، وغيرهم. (تاريخ دمشق ٣٠/٣٤٨ - ٣٧٧، ٤٤/١٩٦ - ٢١٧)"
وقد جاء في طريق أبي هلال العتكي:

كنت جالساً إلى جنب منبر علي بن أبي طالب وهو يخطب الناس، فسمعتة
يقول: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، فبدرته وقلت: ثم أنت يا أمير
المؤمنين الثالث؟ فقال: لا، ولا الرابع. (تاريخ دمشق ٤٤/٢١٦)
ويقول إسماعيل بن زياد في طريق شريك:

سمعت شريكا يقول لقوم من الشيعة: إنا ما علمنا بعلي حتى صعد المنبر
فقال: إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر، والله ما سألناه عن ذلك، يا
الإشراق مجلة إسلامية شهرية ٤٢ ————— أغسطس ٢٠٢٥ م

جاهل أفترانا كنا نقوم فنقول: كذبت؟ (تاريخ دمشق ٤٤/٢١٧)
وفي طريق أبي مخلد:

قال علي بن أبي طالب: ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرفنا
أفضلنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر، وما مات أبو بكر حتى
عرفنا أن أفضلنا بعد أبي بكر عمر، وما مات عمر حتى عرفنا أن أفضلنا بعد
أبي بكر وعمر رجل لم يسمه. (تاريخ دمشق ٣٠/٣٧٥)
وعلاوة على الرواة المذكورين أعلاه قد روي هذا الأثر من رواية كهولاء:
عبد الله بن سلمة (ابن ماجة، رقم ١٠٥- مصنف ابن أبي شيبة، رقم ٣١٣٢٣-
السنة، أبو بكر بن الخلال، رقم ٣٥٩- حلية الأولياء، أبو نعيم ٧/٢٠٠- الإمامة والرد
على الرافضة، أبو نعيم، رقم ٥٨-)
عبد الله بن زريق الغافقي (السنة، ابن أبي عاصم، رقم ١٢١٤-)
يحيى بن شداد (شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي، رقم ٢٤٥٣-)
(للبحث صلة ...)



الدراسات والتحقيقات



السيد منظور الحسن

ترجمة من الأردية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

انشقاق القمر: موقف الأستاذ غامدي

[مقتبس من حوار الأستاذ غامدي مع محمد حسن إلياس]
(الحلقة الخامسة)

- الغمام والمن والسلوى: نعم الله على بني إسرائيل
لقد ذكر القرآن الكريم في مواضع متعددة تلك النعم العظيمة التي أنعم الله بها على بني إسرائيل، ومن بينها نعمة خارقة للعادة، خارجة عن السنن الطبيعية، وقد أنعموا ببعضها عن طريق أنبيائهم، وبعضها أنزلت عليهم مباشرة من السماء. وقد عبّر الله تعالى عن هذه النعم بعبارة "آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ"، أي علامات واضحة تدل على قدرته وتأييده لهم. ومن ذلك ما ورد في سورة البقرة:
وَوَهَبْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ. (البقرة: ٥٧)
فقد ظلل الله عليهم الغمام - أي السحاب - ليقىهم حر الشمس في صحراء التيه، وأنزل عليهم طعاماً من السماء: المن وهو مادة حلوة كمادة العسل تتساقط على الأشجار، والسلوى وهو طائر يشبه السمانى (السمان)، فكانوا يجدون قوتهم يومياً دون عناء.

هذه النعم لم تكن فقط إكراماً، بل كانت أيضاً آيات ظاهرة من الله على عنايته الخاصة بهم في ذلك الوقت. ولكن بالرغم من ذلك، لم يقدروا هذه النعم حق قدرها، بل تمردوا وظلموا أنفسهم، كما يُخبرنا الله في آخر الآية.

سَلَّ بَنَى إِسْرَآءِيلَ كَمْ أَتَيْنُهُمْ مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ. (٢: ٢١١)

والآيتان البارزتان منها كانت تظليل الغمام وإنزال المن والسلوى عليهم فقال:

وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِمَّنْ طَبَيْتَ مَا رَزَقْنٰكُمْ. (٢: ٥٧)

إن هذه في الحقيقة نِعَمٌ أنعم الله بها عليهم في صحراء سيناء. ففي هذه الصحراء القاحلة، لم تكن لديهم بيوت، ولا خيام أو مظلات. كان الآلاف من الناس يعيشون تحت السماء المكشوفة. وفي هذا الوضع، حماهم الله من حرارة الشمس الشديدة بأن ظلهم بالسحاب. ويكتب المودودي رحمه الله:

"خرج بنو إسرائيل من مصر وهم بمئات الألوف، ولم يكن لهم في منطقة سيناء بيوت ولا حتى خيام يأوون إليها. ولو لم يبق الله السماء ملبدة بالغيوم مدة من الزمن، لهلكوا من شدة الحر". (تفهم القرآن ١/٧٧-٧٨)

لقد بسط الله لهم الغمام سقفاً يستظلون به، وهياً لهم مائدة من النعم الإلهية، تجلت في صورة "المن والسلوى". ولم يكن عليهم أن يهيئوا الأرض أو يزرعوا أو يحصدوا، ولا أن يكابدوا عناء إعداد الطعام، بل كانت هذه النعمة تصلهم جاهزة، دون كدٍّ أو تعب. وقد عبّر القرآن الكريم عن هذه المائدة الربانية بـ"المن والسلوى".

وقد كتب أستاذنا الجليل — في ضوء ما ورد في سفر "الخروج" من التوراة — ما نصّه:

"كان 'المن' مادة شبيهة بالندى، كانت تنزل على الأرض كأنها قطرات متجمدة شبيهة بجبات الصقيع. وكان بنو إسرائيل يلتقطونها قبل اشتداد حرارة الشمس، إذ كانت هذه الحبات تذوب عند ارتفاع الحرارة. وفي صحراء جرداء قاحلة، حيث تنعدم سبل الغذاء، كانت هذه نعمة عظيمة، أنعم الله بها على بني إسرائيل جزاءً لهم على هجرتهم مع نبيهم بأمر من الله، دون أن يتكبدوا في تحصيلها عناءً. وكلمة (مَنَّ) تعني الفضل والعطاء، ويبدو أن هذه التسمية جاءت من هذه الدلالة".

أما "السَّلْوَى"، فالمقصود بها الطيور التي أرسلها الله تعالى إلى بني إسرائيل في

صحراء سيناء، وكانت تشبه طيور "السَّمانِي" (السَّمان) المعروفة، سهلة الصيد، كما هو حال طائر "السَّمان". المصدر: التفسير "البيان"، ج ١، ص ٦٨-٦٩.

٣- تعليق جبل الطور فوق بني إسرائيل

ومن الآيات العجيبة الأخرى تلك التي حدثت عندما علَّقَ اللهُ جَبَلَ الطور فوق رؤوس بني إسرائيل بأمره. أي: انقلع الجبل من مكانه، وأصبح كالمظلة المعلقة فوقهم. وقد وقع هذا الحدث الخارق في وادي سيناء، عندما أنزل اللهُ على بني إسرائيل ألواح التوراة (الشريعة الموسوية). في تلك اللحظة، أُخِذَ منهم العهد أن يتمسكوا بالتوراة تمسكاً وثيقاً، وأن يعملوا بأوامرها وتوجيهاتها التزاماً تاماً. وقد ورد هذا في سورة البقرة، حيث قال اللهُ تعالى:

وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ۖ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ.

وقال في موضع آخر:

وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. (٢: ٦٣)

وقد جاء في سورة الأعراف الآية ١٧١ تعبير آتي يمثل هذه القصة:

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ (أي واذكر

حين رفعنا الجبل فوقهم كأنه مظلة، وظنوا أنه واقع بهم)

وأريد به أنه بأمر من اللهُ تعالى، رُفِعَ جبل عظيم فوق رؤوسهم حتى بدا كالمظلة المعلقة، وظنوا أنه سيهوي عليهم في أية لحظة. وهذا يدل على أن رهبة عظيمة من قدرة الله قد استولت عليهم.

رأي الأستاذ الجليل في هذا الحدث:

يرى الأستاذ غامدي أن هذا المشهد كان تجلياً لعظمة الله وجلاله. الغرض منه لم يكن التخويف المجرد، بل الإظهار الجلي لهيبة القدرة الإلهية المطلقة، التي أخذت العهد عليهم في تلك اللحظة، لتكون شاهداً حياً على أن من يعاهدهم هو الإله القادر الذي لا يعجزه شيء. فإن هم نكثوا العهد، فبوسعهم أن يتصوروا تماماً ما قد ينزل بهم من عقاب، بالنظر إلى ما رأوه بأعينهم. وقد كتب الأستاذ ما نصه:

"يتبين من القرآن والتوراة على السواء أن هذا العهد أخذ من بني إسرائيل عند سفح الجبل، في مشهدٍ رفع فيه الطور من مكانه حتى أصبح كالمظلة فوق رؤوسهم، وكانوا يظنون أنه سيقع عليهم لا محالة. وقد عبّر القرآن عن هذه الحالة بقوله إن الجبل انزع وارتفع فوقهم. وهذا كان تجلياً لقدرة الله وجلاله، أريد به أن يبقى في أذهان بني إسرائيل على الدوام، ليعلموا أن الإله الذي يعاهدونه ذو قدرة هائلة، وأنهم إن خالفوا ميثاقه، فإن ما قد ينزل بهم من عذاب سيكون على قدر تلك القدرة".

٤- نوم أصحاب الكهف إلى مدة ما يقرب من مئتي عام
لقد وصف القرآن الكريم أصحاب الكهف بقوله: ﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾، أي إنهم كانوا آيةً من آيات الله العجيبة. فقد ألقى الله تعالى عليهم حالة من النوم العميق امتدت لما يقرب من مئتي عام، ثم بعثهم وأظهرهم للناس آيةً من آياته. وقد ورد هذا الحدث في سورة الكهف (١٨)، من الآية ٩ إلى الآية ٢٥. وقد ابتدأ الحديث بتمهيد يلخص القصة، ثم أعقب ذلك بذكر التفاصيل. وفيما يلي الآيات التمهيدية:

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا فَضَرْبَنَا عَلَى أُنُوفِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا. (١٨: ٩-١٢)

أصحاب الكهف والراجح في قصتهم
الراجح عند الباحثين أن أصحاب الكهف هم أنفسهم الذين يُعرفون في التاريخ المسيحي بـ "السبعة النائمين" (The Seven Sleepers)، وكانوا من مدينة أفسس (Ephesus)، وهي مدينة مشهورة تقع على الساحل الغربي من تركيا الحالية، وكانت مركزاً مهماً لعبادة الأصنام.

بين عامي ٢٤٩ و ٢٥١ للميلاد، حكم الإمبراطور الروماني ديسيوس (Decius) هذه المنطقة، وفي تلك الفترة وصل أتباع المسيح عليه السلام إلى المدينة يحملون لواء دعوته. وكان أصحاب الكهف من فتیان ينتمون إلى أسر نبيلة في المدينة، فآمنوا بدعوة المسيحيين بإخلاص، وشرعوا في نشرها بحماس شديد. أدى هذا

إلى أن وقف المجتمع بأسره ضدهم، وواجهوا خطرًا كبيرًا بقتلهم رجماً بالحجارة. فلاذوا بالفرار إلى كهف كبير خارج المدينة، احتماؤه به من بطش الناس. فحماهم الله تعالى، وألقى عليهم النوم لزمان طويل. وكانت الملائكة تتولى تقليبهم ذات اليمين وذات الشمال، وأجلس كلهم على فم الكهف كأنه يحرسهم. وبهذا الشكل، وبأمر الله وتدير ملائكته، ظلوا نائمين قرابة ١٩٦ سنة. وفي السنة الثامنة والثلاثين من حكم الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني (Theodosius II)، أي نحو عام ٤٤٤ أو ٤٤٧ ميلاديًا، استيقظوا من نومهم. وفي هذه الفترة، كان الإمبراطور قسطنطين (٢٧٢-٣٣٧ م) قد دخل في المسيحية بفعل جهود المبشرين، وانتشرت المسيحية في أرجاء الإمبراطورية الرومانية. وعندما استيقظ أصحاب الكهف، كانوا يجهلون ما جرى في الخارج. فأرسلوا أحدهم إلى المدينة ليشتري طعامًا، وعندما قدم نقودًا تعود لعهد ديسيوس، ارتاب البائع وظن أن الرجل عثر على كنز قديم. أدى ذلك إلى مشادة بينهما، تجمع الناس على إثرها، حتى وصل الأمر إلى السلطات. فاستدعي ذلك الفتى إلى الحاكم، وطرح عليه أسئلة، فعرف أن ديسيوس قد مات منذ زمان بعيد. فقص عليهم قصته كاملة، مما أثار دهشتهم، وخرجوا معه إلى الكهف للتحقق من الأمر. وتبين للحاضرين أنهم متصلون بالفعل بزمان الإمبراطور ديسيوس. وأبلغ الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني بهذا الحدث العجيب، فزارهم ماشيًا على قدميه احترامًا لهم، وترك بلقائهم. وبعدها عاد الفتية إلى الكهف وناموا مجددًا، فقبض الله أرواحهم هناك^١. وقد بين القرآن الكريم أن هذه القصة تمثل آية من آيات الله. فهي بلا شك معجزة خارقة للعادات، ولكن السؤال الذي يطرح هنا هو: ما الحكمة من إظهار هذه المعجزة؟

وقد أبدى أستاذنا الجليل رأيه في هذا السياق، فكتب:

"ربما اقتضت الحاجة إلى هذه المعجزة الحسية لأن الدعوة المسيحية في ذلك

^١ وهذه التفاصيل مأخوذة من حواشي تفسير البيان، سورة الكهف رقم ٨ إلى ٣٦

الزمان كانت تواجه الفلسفة اليونانية وتراث الوثنية الرومانية. فأراد الله أن يُظهر هذه الآية، فتكون دليلاً حسيّاً يضاف إلى الأدلة العقلية على البعث بعد الموت. والهدف من ذلك أن العقيدة الأساسية في الدين لا تظل أسيرة التحليلات الفلسفية بين من دخلوا حديثاً في المسيحية بالآلاف. وتُفيد كلُّ من التوراة والقرآن أن مثل هذه المعجزات الحسية كانت تظهر في زمن النبوة من حين لآخر". (البيان، ٣/ ١٣١)

(للحديث صلة ...)





إعداد: د. محمد عمار خان ناصر/ د. سيد مطيع الرحمن
ترجمة إلى العربية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

دراسة سنن ابن ماجة

[الاستفسارات المتعلقة بأحاديث سنن ابن ماجة وإجاباتها]
(الحلقة السادسة)

مطيع سيد: رُوي عن الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أنه كان يرى جواز التمتع (في الحج)، بينما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمنع من ذلك. وحدث مرة أن أبا موسى جاء إلى عمر وقال له: لماذا تمنع الناس من التمتع، مع أن الحديث فيه تصريح بجوازه؟ فقال له عمر رضي الله عنه: لا يعجبني أن يضاجع الناس زوجاتهم تحت شجرة من أشجار الغُصَى، ثم يأتون إلى الحج ورؤوسهم تقطر بالماء من الاغتسال.^١

فهل يحق للحاكم أن يفرض ذوقه الشخصي بهذه الصرامة على الناس، رغم أن هناك إذنًا صريحًا من النبي ﷺ بهذا الأمر؟

عمار ناصر: هناك أمر ينبغي الانتباه إليه، وهو أن هذا المنع من قبل عمر رضي الله عنه لم يكن بدافع فرض ذوقه الشخصي على الناس، بل لأنه كان ينظر إلى واقع الحال، وما الذي يمكن أن يترتب على هذا الوضع. لقد لاحظ أن الصورة التي بدأت تتشكل غير لائقة، وهي أن الناس بعد إنهاء العمرة وفسخ الإحرام، خلال أيام الحج، قد ينشغلون بممارسة العلاقة مع زوجاتهم تحت الأشجار، أو

^١ كتاب المناسك، باب التمتع بالعمرة إلى الحج، رقم ٢٩٧٩.

في أودية الجبال، أو خلف الصخور، لأن من يتمتع (أي يعتزم ثم يتحلل قبل الحج) لا تتوفر له أماكن إقامة خاصة أو مساكن مناسبة في تلك الأيام، فبطبيعة الحال سيبحث عن أي مكان متاح. وربما من هذا المنطلق رأى عمر رضي الله عنه - من باب المصلحة - أنه من الأفضل أن يمنع العمرة في هذه الأيام، حتى يظل الناس في إحرام واحد، ويكملوا الحج، ثم يتحللوا بعده. لذا، لا يمكن استنتاج من هذا الحادث أن للحاكم الحق في فرض اجتهاده أو ذوقه الشخصي على الناس.

وأمر آخر ينبغي فهمه: المسلمون في ذلك الزمان لم يكونوا يرون الخلفاء الراشدين كمجرد "حكام"، بل كانوا يعتبرونهم "قادة دينيين" أيضاً. وعمر رضي الله عنه لم يصدر هذا المنع بصفته "حاكماً"، بل لأنه كان مجتهداً في أمور الدين منذ زمن طويل، حتى قبل أن يصبح خليفة، وكان يعبر عن اجتهاده بكل وضوح، بل أحياناً كان يُصرّ على النبي ﷺ في بعض المسائل. ومن ذلك إلحاحه على النبي ﷺ في مسألة الحجاب لأمهات المؤمنين، حيث نزل الحكم القرآني فعلاً بناءً على ذلك الإصرار.

مطيع سيد: ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال: "من استطاع منكم أن يموت بالمدينة، فليفعل، فإني أشهد لمن مات بها".^٢ ويبدو لي أن هذا القول ربما كان من أجل الحفاظ على إعمار المدينة، أي أن المسلمين كانوا بحاجة إلى البقاء فيها، ولذلك قال النبي هذا الكلام، وإلا فما الفضيلة في مجرد الوفاة في المدينة؟

عمار ناصر: بعد الهجرة، كان الناس جميعاً يأتون إلى المدينة، لذا فهذا الحديث لا يبحث على الهجرة إليها. في الحقيقة، إن النبي ﷺ قال هذا في سياق رؤيته للمستقبل، حيث كان يدرك أن بعده ستحدث فتوحات كثيرة، وستنشأ مراكز جديدة، وستصبح مناطق أخرى أكثر جاذبية من حيث التمدن وتوفر وسائل الراحة، بينما لم تكن المدينة آنذاك تتمتع بتلك المزايا؛ بل كان مناخها حاراً، وكانت تعاني من بعض الأوبئة أيضاً. في هذا السياق، قال النبي ﷺ: لا تتركوا

^٢ كتاب المناسك، باب فضل المدينة، رقم ٣١١٢-

مدينتي بعدي فتخلو من الناس. والوفاة في المدينة تعني الإقامة الدائمة فيها إلى حين الوفاة، أي أن تبقى المدينة عامرة بأهلها.

مطيع سيد: قال النبي صلى الله عليه وسلم مامفهوم: من كان له سعة ولم يضح، فلا يقربن مصلانا^٣.

في هذا الحديث يوجد تشديد كبير، ولا يبدو أن هناك مجالاً للتيسير فيه، ومع ذلك فإن جمهور الفقهاء، ما عدا الأحناف، لا يرون الأضحية واجبة، بل سنة. فهل لدى الأئمة الآخرين أحاديث أخرى اعتمدوا عليها جعلتهم لا يرون الأضحية واجبة، وإنما سنة فقط؟

عمار ناصر: عند الفقهاء - ومنهم الأحناف - قاعدة عامة في استخراج الحكم الفقهي من الحديث، وهي أنه لا بد من النظر إلى جميع الأحاديث المتعلقة بالموضوع لتحديد ما إذا كان الحكم واجباً أو سنة. وإذا ظهر في نص معين جانب يبدو مختلفاً عن دلالة بقية النصوص، فيُحاول الفقهاء تحديد موقع هذا النص بشكل دقيق، أو فهم سياقه الخاص الذي ورد فيه هذا الكلام.

فمثلاً في مسألة الغُسل يوم الجمعة، وردت فيها أحاديث فيها تشديد، بل وردت فيها ألفاظ تفيد الوجوب، ولكن عند النظر إلى الأدلة مجتمعة لا يُفهم منها أن الغُسل واجب بمعنى أن من لم يغتسل لا تصح له الجمعة، أو أن يكون آثماً.

وبالمثل، الحديث المتعلق بالأضحية يحتوي على أسلوب تأكيد وتشديد، ولكن في أحاديث أخرى وردت عبارات مثل: "من أراد منكم أن يضحى..."، أي من كان ينوي الأضحية. فمن خلال هذه الأحاديث الأخرى يمكن فهم أن المقصود هو التأكيد على أن من لديه القدرة، فالأفضل له أن يضحى.

وقد يكون النبي صلى الله عليه وسلم، كما فعل أحياناً في موضوعات أخرى، قد شدد في هذا الحديث من باب الترغيب، كما قال في بعض المرات: "لا تمسكوا لحوم الأضاحي أكثر من ثلاثة أيام"، وكان ذلك لتشجيع الناس على التصدق، وليس حكماً دائماً. وبالمثل، إذا لاحظ النبي صلى الله عليه وسلم أن بعض الناس

^٣ كتاب الأضاحي، باب الاضاحي وواجبة هي أم لا، رقم ٣١٢٣.

يقدرّون على الأضحية لكنهم يتهاونون فيها، فقد يكون قال هذا الكلام للتشديد عليهم حتى لا يتركوا هذا العمل الخير. فأسلوب التشديد هذا في الحديث لا يعني بالضرورة أن الحكم واجب شرعاً، بل قد يُستخدم هذا الأسلوب للتأكيد على أهمية فعل مستحب.

مطيع سيد: ولكن الأحناف يرون وجوب الأضحية. فقد أخبرتني فتاة أنها كانت تدخر بعض الأغراض لجهازها، لكن أحد المشايخ قال لها: بيعي بعض تلك الأغراض وقومي بها بالأضحية.

عمار ناصر: هذا أمر يثير تعجبي أيضاً، لأن المنهج العام للأحناف يبدو مختلفاً بعض الشيء عن هذه الرأي. فالأحناف، على وجه الخصوص، يقررون أنه في المسائل التي من طبيعتها أن تكون عامة البلوى – أي تلك التي يواجهها كل الناس – لا يمكننا إثبات الوجوب فيها بخبر الواحد. لذا، فالسؤال جدير بالتأمل: ما هي الأسباب التي دفعت الإمام أبا حنيفة إلى هذا الاتجاه، حيث لم ير الأضحية مجرد مستحب بل أوجبها على كل فرد؟ ثم إن مسألة القدرة على الأضحية قد ربطها فقهاء الحنفية بنصاب الزكاة، مما زاد من صعوبة الأمر على المسلم العادي.

مطيع سيد: عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، أنه قال: أعطاني النبي ﷺ غنماً أضحى بها، فقسمتها بين أصحابي، فبقي لي جدي (تيس صغير) لم يبلغ السنة. فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال: "ضحّ به، ولن يُجزئ عن أحد بعدك".^٤

عمار ناصر: في هذا الحديث، قال النبي ﷺ إن هذا يكفيك، ولكنه لا يكفي لمن يأتي بعدك، مما يدل على أنها كانت رخصة استثنائية خاصة بعقبة رضي الله عنه. ومع ذلك، فإن بعض الفقهاء يرون أن الجدي إذا كان دون السنة لكنه ممتلئ الجسم وحسن الهيئة، فإن هذه الرخصة تُعمم على غيره أيضاً. وهناك روايات أخرى تدعم هذا التعميم وتمنح مجاًلاً أوسع للأخذ به.

مطيع سيد: الفقهاء يتحدثون عادةً عن صحة الأضحية ونحوها، ولكن في هذا الحديث نرى أن الصحابي كانت له حالة خاصة، ويبدو أن النبي ﷺ منحه الإذن في ضوء وضعه الفردي.

^٤ كتاب الأضاحي، باب ماتجزئ من الأضاحي، رقم ٣١٣٨.

عمار ناصر: نعم، من ظاهر الحديث يبدو أن النبي ﷺ منحه إذنًا خاصًا على نحو فردي. ولكن في الاجتهادات الفقهية هناك مجال واسع للتأويل والتفسير للنصوص. الفقيه في هذا السياق ينظر إلى مختلف جوانب النصوص وإلى المبادئ العامة للشريعة، ليرى إن كان الاجتهاد الذي يتوصل إليه معقولاً ومبنيًا على أسس صحيحة. ليس من الضروري أن ينطبق نص معين على اجتهاد معين بنسبة مئة في المئة.

مطيع سيد: روي عن الصحابي الجليل سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: اشترينا كبشًا لنضحي به، فجاء الذئب فأكل أذنه وفخذه. فسألنا النبي ﷺ عن ذلك، فقال: "ضحوا به".^٥

ومع ذلك، فإن بعض العلماء يقولون إنه في مثل هذه الحالة يجب شراء أضحية جديدة.

عمار ناصر: ينبغي النظر في الآراء الفقهية، ولكن الأصل في الشريعة أن الشخص حين يشتري أضحية، فلا ينبغي أن تكون معيبة، لأن ذلك في نطاق قدرته. أما إذا اشترى حيوانًا سليمًا ثم أصيب بعارض بعد ذلك، كما في هذا الحديث - حيث أكل الذئب منه أو أصيب أو سقط فانكسروجرح - فهنا لا بد من النظر في استطاعة الشخص. في هذا الحديث، رأى النبي ﷺ أن هذا الرجل لا يستطيع توفير أضحية جديدة، وأن العيب الذي أصاب الأضحية لم يكن بسبب تقصير منه، فأذن له بأن يضحي بها. وفي رأيي، هذا يتفق تمامًا مع روح الشريعة. أما إذا كان الشخص غنيًا وبوسعه شراء أضحية جديدة، فعليه أن يفعل ذلك، ولا يتمسك بالرخصة. فإذا كان الفقهاء يشترطون شراء أضحية جديدة في حق الغني، فهذا صحيح. أما إذا ألزموا بذلك الفقير غير القادر، فهذا يخالف روح الشريعة ويتعارض مع هذا الحديث أيضًا.

مطيع سيد: أحيانًا يُتَّهم بعض رواة الحديث بأنهم كذّابون، مثل قولهم: "جابر الجعفي كذاب". فهل يُقصد بذلك أنه كذاب في رواية معينة فقط، أم أن المقصود أنه كذاب عامّة؟

^٥ كتاب الأضاحي، باب من اشترى أضحية صحيحة فأصابها عنده شيء، رقم ٣١٤٦.

عمار ناصر: حين يُوصَف الراوي بصفة كهذه، فلا يكون ذلك في سياق رواية مخصوصة، بل يكون توصيفاً عاماً لشخصيته وسلوكه العام في الرواية. **مطيع سيد:** هل يمكن أحياناً من خلال متن الحديث نفسه أن نتبين ما الذي قد يدفع الراوي إلى اختلاق هذا الحديث؟

عمار ناصر: ليس من الضروري تلازم الأمرين. فالمحدثون يراعون ذلك، فإن بدا من متن الحديث نفسه أنه موضوع، وكان الراوي كذلك موصوفاً بالكذب، فإنهم يقيّمون الرواية من هذا المنطلق. أما إذا لم يظهر من المتن ما يدل على الوضع، ولكن في السند راوٍ كذاب، فإنهم ينظرون: إن وجدت قرائن أخرى تؤيد الرواية، فقد يقبلونها على سبيل التأييد أو الاستشهاد، لا على جهة الاحتجاج الأصلي.

مطيع سيد: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا دخل هلال ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي، فلا يمسّ من شعره ولا من بشره شيئاً".^٦ وقد ذهب الإمام داود الظاهري ومحمد بن إسحاق وغيرهما إلى أنه يحرم عليه ذلك.

عمار ناصر: هؤلاء العلماء أخذوا الحديث على ظاهره، فحملوه على الوجوب، لكن جمهور الفقهاء حملوه على الاستحباب.

مطيع سيد: الفقهاء حين يرون حديثاً للنبي ﷺ، يحاولون أن يستنبطوا منه المقصود، بينما عندما كان النبي ﷺ يوجّه الحديث إلى الصحابة، فإن طريقة كلامه، ونبرة صوته، وأسلوبه، كل ذلك كان يحدّد ما إذا كان الحكم واجباً أو مستحباً أو أن النهي فيه تحريم أو كراهة. فإذا نظرنا إلى هذا الجانب، فإن فهم الصحابة للحديث يصبح أمراً بالغ الأهمية. فهل يُعطى هذا الفهم مكانته اللائقة؟ **عمار ناصر:** بالتأكيد يُعطى هذه المكانة. ولهذا السبب هناك نقاش في أصول الفقه حول مدى اعتبار فهم الصحابة، وخصوصاً الصحابي الذي يروي الحديث، في تفسير ذاك الحديث. وقد تناولتُ هذا الموضوع في فصل مفصل من كتابي:

^٦ كتاب الأضاحي، باب من أراد ان يضحي فلا يأخذ في العشر من شعره و أظفاره،

"المنهج الأصولي للأحناف في فقه الحديث".

مطيع سيد: هل هذا المنهج خاص بالأحناف فقط، أم أن جميع الفقهاء يأخذون به؟
عمار ناصر: لا أحد من الفقهاء أو المحدثين يعتبر فهم الصحابي حجة بشكل مطلق. جميع المدارس الفقهية تعطيه أهمية من جوانب معينة، بينما تترك مجالاً للاجتهاد والاختلاف في جوانب أخرى. فمثلاً، إذا تجاوز الصحابي المعنى الظاهر للحديث واستنبط منه حكماً، فإن هذا يُعدّ اجتهاداً فقهياً، ويمكن أن يُخالف اجتهاد الصحابي في ذلك. ولكن الأحناف في بعض المواضع يذهبون إلى أبعد من ذلك؛ فحتى إذا فسّر الراوي الحديث بمعنى معين، قد يتركّون هذا المعنى، بينما يرى المحدثون أن الراوي الذي سمع الحديث، وفهمه في ظل الملابسات والسياق، يكون فهمه هو الأقرب للصواب. وتوجد أمثلة كثيرة عند الحنفية تُظهر أنه إذا لم يتوافق الفهم الظاهر للحديث مع الأطر الفقهية لديهم، فإنهم قد يقولون بأن الصحابي ربما أخطأ في الفهم. وهذا يبدو أمراً مستغرباً بعض الشيء. وقد كتب العلامة أنور شاه الكشميري أن الصحابة كانوا أذكاء، فليس من المنطقي أن نزن أنهم لم يفهموا مراد النبي ﷺ من الحديث.

مطيع سيد: السيدة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تقول: "نحزنا فرساً في زمن رسول الله ﷺ وأكلنا لحمه". فلماذا نجد أن كثيراً من الروايات التي يعتمد عليها الأحناف تكون ضعيفة عند المحدثين، وغالباً ما وُجّهت النقدات الجارحة.

عمار ناصر: هذا يرجع إلى اختلاف المنهج. فالمحدثون يقولون: نحن نحقق في الأحاديث، ونأخذ فقط ما ثبت بسند صحيح وموثوق. أما الأحناف، فهم لا يبدوون من هذه النقطة، بل لديهم منهج مختلف، إذ ينظرون إلى أشياء أخرى: أن لا يكون الحديث مخالفاً للقرآن، ولا مخالفاً للعمل المعروف، ولا لما نُقل عن كبار الصحابة من الفهم والعمل، ولا يعارض قياساً قوياً. هذه الأمور يُعطونها أهمية أكبر. ولذلك قد يأخذون أحياناً بروايات تُعدّ ضعيفة وفقاً لمنهج المحدثين، لكنها تناسب الإطار الفقهي عند الأحناف. ومثال على ذلك: هل يُساوى بين المسلم وغير المسلم في القصاص والدية؟ الأحاديث الأقوى سنداً تؤيد موقف المحدثين، أما الأحاديث الأضعف نسبياً فهي مع الأحناف، ولكن الأحناف

يقولون: إن منهجنا الأصولي يدعم هذه الأحاديث، ولذلك نرجحها.
مطيع سيد: إذاً، هل يعني ذلك أن المنهج الأصولي عند الأحناف أكثر اتساعاً وعمقاً؟

عمار ناصر: نعم، بالتأكيد. المنهج الأصولي لدى الأحناف يوفّر لك مساحة واسعة في مجال التأويل والاجتهاد.

مطيع سيد: وهل يعني ذلك أن الأحناف لا يواجهون نفس الإشكال في أسانيد الروايات كما هو عند المحدثين الذين يضعون معيار الصحة والضعف في السند في المقام الأول؟

عمار ناصر: صحيح. اعتبار صحة السند ليس هو المعيار الأساسي عند الأحناف. فهم غالباً ما ينظرون إلى تعامل الصحابة مع المسألة التي يتحدث عنها الحديث أو إلى المزاج العام للشيعة، أو إلى ما تدل عليه الأحاديث المشهورة والمعروفة. أما الأحاديث الغريبة، فهي تقل أهميتها كثيراً في منهجهم ضمن سلم الاعتبار.
مطيع سيد: ومن زاوية أخرى، يمكن القول إن الجهد العظيم الذي بذله المحدثون في التحقق من حال الرواة لا تكون له تلك الأهمية نفسها في نظر الأحناف؟

عمار ناصر: من الناحية التاريخية، فإن لهذا العمل قيمة عظيمة جداً. فمن حيث التوثيق التاريخي، حينما ننظر إلى كثرة الأقوال المنسوبة إلى النبي ﷺ، نحتاج إلى التمييز بين ما هو موثوق به منها وما هو دون ذلك. ومن هذا الجانب، فإن جهود المحدثين تساعد كثيراً. أما إذا كان الحديث متعلقاً بتأويل معين، وكيفية فهمه في ضوء الأدلة الأخرى، فذلك مجال مختلف.

مطيع سيد: ورد حديث عن الجراد مفاده أنك ﷺ دعوت عليه، وأنه مخلوق من عتسة الحوت.^٧ هل هذا الحديث ضعيف؟

عمار ناصر: هذه رواية ضعيفة، ولا تستحق كثير نقاش أو اعتماد.
مطيع سيد: وقد ورد الأمر بقتل الوزغ، فما السبب في ذلك؟^٨

^٧ كتاب الصيد، باب صيد الحيتان والجراد، رقم ٣٢٢١.

^٨ كتاب الصيد، باب قتل الوزغ، رقم ٣٢٢٨.

عمار ناصر: جاء في الحديث لفظ "الوزغ"، سواء كان يقصد به الوزغ المعروف (الوزغة أو السحلية) أو غيره من الزواحف المشابهة. والمبدأ في قتله هو ما ورد في الحديث من أنه من الحيوانات المؤذية، والتي يمكن أن تُسبب ضرراً، أو أن وجودها في البيوت يخلّ بالنظام المعتاد. ولذلك يجوز قتلها.

مطيع سيد: قيل: "كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية زوجة فرعون".^٩ فما المقصود بالكمال هنا؟ وما هو معيار الكمال؟ **عمار ناصر:** المقصود بالكمال هو بلوغ درجة عالية من القرب من الله، ومن الروحانية، ومن الإيمان والتقوى. أما معيار الكمال الحقيقي، فالله وحده يعلم حقيقته. **مطيع سيد:** ولماذا لم يظهر هذا الكمال في النساء كما هو في الرجال، مع أن في النساء من هنّ صالحات بل وأنبياء قد وُلدوا من أرحامهنّ؟

عمار ناصر: أعتقد أن الأمر يرجع إلى أن الكمال المقصود هنا هو من ذلك النوع المرتبط بدرجة النبوة والرسالة، وهذا المقام لم يُعطه الله للنساء. ولو شاء الله أن يجعل النبوة فيهنّ، لفعل، لكنه سبحانه لم يفعل. فالأمر يدخل ضمن مشيئة الله وحكمته.

مطيع سيد: قرأت في مكانٍ ما أن ابن رشد أو ابن خلدون ينكرون الأحاديث المتعلقة بالطب، ويقولون إن النبي لم يُبعث ليعلم الناس هذه الأمور، بل إن مهمته هي تصحيح العقائد والأخلاق. ومن هذا المنطلق ينكرون تلك الأحاديث، رغم أن المحدثين قد أوردوا في كتبهم باباً خاصاً تحت عنوان "كتاب الطب"، يتضمن روايات كثيرة في هذا الشأن.

عمار ناصر: لا، ليس الأمر كذلك، أنهم لا يرفضون هذه الأحاديث أو يقولون إنها غير صحيحة، بل يتناولون طبيعة هذه الأحاديث وماهيتها. وهذه النقطة قد تحدث عنها كل من ابن خلدون والشاه ولي الله، إذ يؤكدان أن النبي لا يكون منقطعاً عن ثقافة عصره وبيئته، ولا يقتصر على نقل تعاليم الدين فحسب، بل هو جزء من مجتمعه، ويعبّر أيضاً عن التجارب الإنسانية العامة التي سادت في قومه ومحيطه. يقول ابن خلدون إن هذه الأمور لا تدخل في صميم وظيفة النبوة، ولا يشترط

^٩ كتاب الاطعمة، باب فضل الثريد على الطعام، رقم ٣٢٨.

أن تكون بوجي، لكن كونه نبياً لا يعني أن يعزل نفسه عن التجارب المعروفة في قومه. فهو يوضح أن كثيراً مما ورد في الأحاديث النبوية في موضوع الطب ما هو في الحقيقة إلا من "طب العرب"، أي من تجاربهم الطبية المتداولة، ولم يكن وحياً إلهياً، بل هو انعكاس للمعرفة الطبية السائدة في البيئة العربية آنذاك. ورأي شاه ولي الله في هذه المسألة شبيه بذلك.

مطيع سيد: ما سبب تخصيص النبي ﷺ بعض الأيام بالحجامة؟ فقد ورد عنه قوله أن يتجنب المرء الحجامة في يوم السبت ويوم الأحد؟^{١٠}

عمار ناصر: أظن أن وراء ذلك بعض التجارب أو الاعتبارات المصلحية. فقد تكون هنالك ملاحظات طبية أو خبرات متراكمة في المجتمع آنذاك ترتبط بهذه الأيام. **مطيع سيد:** النبي ﷺ نهى عن الكي وأعرب عن كراهيته له لأمته، ومع ذلك عندما مرض أبي بن كعب رضي الله عنه أرسل إليه النبي طبيباً، فقام بعلاجه بالكي. وكذلك عولج سعد بن معاذ رضي الله عنه بالكي أيضاً.^{١١}

عمار ناصر: نعم، هذه من الأمثلة التي تُطرح في سياق التعارض الظاهري في الأحاديث؛ ففي بعضها نجد مدحاً للعلاج بالكي، وفي البعض الآخر نجد النهي عنه. وقد قام المحدثون بالتوفيق بينها بأن النهي هنا ليس شرعياً بالمعنى الفقهي، بل هو نابع من الرحمة والرأفة. أي أن هذا النوع من العلاج قد يكون فعالاً، وربما لم يكن له بديل في بعض الحالات، لكنه مؤلم بطبيعته، إذ أن الكي يتضمن الحرق والإيذاء الجسدي، ولهذا السبب لم يكن محبوباً للنبي ﷺ من الناحية الشعورية. (للحديث صلة ...)



^{١٠} كتاب الطب، باب في أي الأيام يحتجم، رقم ٣٤٨٧.

^{١١} كتاب الطب، باب من اكتوى، رقم ٣٤٩٢.



إعداد: الدكتور شهزاد سليم

صيغ بالعربية عن النص الإنجليزي: د. محمد غطريف شهباز الندوي

تاريخ جمع وتدوين القرآن الكريم: دراسة نقدية (الحلقة الأولى)

تعريف موجز بالباحث:

الدكتور شهزاد سليم يعدّ من أبرز الباحثين في مؤسسة "المورد" العلمية، وله إسهامات فكرية رصينة باللغة الإنجليزية في مجالات القرآن الكريم، والحديث الشريف، وقضايا الفكر الإسلامي المعاصر. وقد قدّم أطروحة دكتوراه قيّمة في موضوع "تاريخ جمع وتدوين القرآن: دراسة نقدية"، نال بها درجة الدكتوراه من جامعة ويلز في المملكة المتحدة. وتتميّز هذه الدراسة بمعالجة علمية دقيقة ونقدية متعمّقة، تهدف إلى تقديم رؤية موضوعية لتاريخ جمع القرآن الكريم في ضوء المصادر والمرويات المتداولة. يسرّ مجلة "الإشراق" أن تقدم إلى قرائها الكرام مختارات منتقاة من هذه الدراسة المهمة، خدمة للفكر القرآني، وتحفيزاً للنقاش العلمي النزهي في ميدان الدراسات القرآنية.

نزل القرآن الكريم بشكل متدرّج، على مراحل متعددة، وبعد اكتمال هذا التنزيل، أعيد ترتيب الآيات والسور، ثم نقل هذا النص الكامل إلى الأجيال التالية.

ورغم أن عدداً من العلماء البارزين في التاريخ الإسلامي تناولوا موضوع جمع القرآن ونقله، إلا أن هناك حاجة لإعادة دراسة هذا الموضوع من جديد وتقديم

رؤية شاملة ومركبة. والسبب في ذلك، من وجهة نظر الكاتب، أن أغلب الدراسات السابقة وقعت في ثلاث إشكاليات رئيسية، وهو ما دفعه إلى إعداد هذه الدراسة.

الإشكالية الأولى: أن أغلب ما كُتب عن جمع القرآن اعتمد فقط على الروايات التاريخية الواردة في كتب الحديث، ونادرًا ما استُند إلى ما يذكره القرآن نفسه عن جمعه.

الإشكالية الثانية: أن أدوات النقد التاريخي لم تُستخدم بالشكل الكافي عند تقييم تلك الروايات الحديثية، مما أدى إلى اعتماد بعض النتائج الكبرى على معطيات مشكوك في صحتها.

الإشكالية الثالثة: أن قراءات القرآن التي نقلت بطرق ظنية (أي غير قطعية) اعتُبرت مساوية للقراءات التي وصلت بطرق قطعية، رغم أن القرآن نفسه يفرق بين النوعين. وبهذا التقدير الخاطئ، تلاشت الفروق بينهما أو كادت.

ومن الأسباب المهمة وراء هذه الأخطاء لدى بعض العلماء المسلمين، موقفهم المتساهل تجاه أخبار الآحاد المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فقد كان لشخصية النبي صلى الله عليه وسلم تأثير عميق في نفوس المسلمين، والقرآن أمرهم باتباعه، مما جعل كثيرًا من العلماء يقبلون الروايات المنسوبة إليه دون تحقيق دقيق، حتى لو لم تكن موثوقة تمامًا. بل إنهم في كثير من الأحيان اعتمدوا على هذه الروايات في تفسير آيات من القرآن، حتى وإن كانت الروايات تناقض هذه الآيات نفسها.

في هذا السياق، لا بد من الإشارة إلى محاولتين بارزتين حاولتا معالجة بعض هذه الثغرات:

- الأولى لعالم مسلم من الهند، هو حميد الدين الفراهي (توفي سنة ١٩٣٠م)^(١) الذي لفت الانتباه إلى المراحل التي أشار إليها القرآن نفسه فيما يخص جمعه وتدوينه. وسيتم تناول جهوده هذه في الفصل الأول من القسم الثاني من الدراسة.

- الثانية قام بها عدد من الباحثين الغربيين^(٢) الذين اعتبروا أن الروايات المتعلقة بتاريخ القرآن غير موثوقة، ف لجؤوا إلى دراسة المخطوطات القرآنية

لمحاولة الوصول إلى النص الأصلي له. ورغم أهمية جهدهم العلمي، إلا أن أبرز عيوب منهجهم هو أنهم لم يعتمدوا بشكل أساسي على القرآن نفسه أو على المصادر التاريخية الموثوقة.

بناءً على ما سبق، تتحدد أهداف هذه الدراسة فيما يلي:

١. تقديم رؤية متكاملة لتاريخ جمع القرآن ونقله، تعتمد على القرآن ذاته وعلى المصادر التاريخية الموثوقة.

٢. إعادة تقييم روايات جمع القرآن الموجودة في كتب الحديث، باستخدام منهجية النقد التاريخي الحديث.

ومن المهم الإشارة إلى أن الهدف الثاني يستغرق المساحة الأكبر من هذه الدراسة، نظراً لغزارة المادة وتنوعها، ويشكل القسم الأول منها (الأبواب من ١ إلى ١٧) أصل الدراسة. أما القسم الثاني (الفصلان ١ و ٢) فيركّز على الجانب التركيبي والتحليلي.

ثانياً: الخلفية التاريخية

يرى العلماء المسلمون التقليديون أن حفظ القرآن الكريم بدأ منذ اللحظة الأولى لنزوله، وتم بطريقتين: الحفظ الشفهي والكتابة.

كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم أول من يحفظ ما يُنزل عليه من الوحي، ثم يعلنه للناس ويأمر أصحابه بحفظه. وقد حفظ كثير منهم القرآن الكريم^(٣) واستمر هذا التقليد في الأمة الإسلامية حتى اليوم.

وتشير بعض الروايات إلى أن أربعة فقط من الصحابة هم من جمعوا القرآن في حياة النبي^(٤) لكن أغلب العلماء يفسرون ذلك على أنهم فقط من أتموا حفظه كاملاً في ذلك الوقت.^(٥) بينما يرى آخرون أن المقصود بكلمة "جمع" في هذه الروايات هو الجمع الكتابي.^(٦)

أما فيما يتعلق بجمع القرآن كتابةً، فإن العلماء عادةً يميزون ثلاث مراحل رئيسية:^(٧)

١. جمعه في عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم
٢. جمعه في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه^(٨)
٣. جمعه في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه^(٩)

وتذكر بعض الروايات أن عمر بن الخطاب كان أول من اقترح فكرة جمع القرآن، وليس أول من جمعه بالفعل.^(١١) كما تُنسب روايات أخرى إلى علي بن أبي طالب أنه جمع القرآن^(١٢) ويختلف العلماء في تفسير ذلك^(١٣): فمنهم من يرى أنه جمع حفظاً،^(١٤) ومنهم من يرى أنه كان جمعا كتابيا خاصاً به.^(١٥)

في زمن النبي ﷺ، كلما نزل جزء من القرآن، كان الكتاب يدونونه مباشرة، ثم يُعاد قراءته على النبي ﷺ لضمان عدم وجود أي خطأ. وكانت هذه الآيات تُكتب على وسائل الكتابة المتوفرة في ذلك العصر، مثل قطع من عظام الكتف (الأكتاف)، ورقوق من الجلد (الرَّق)، وأوراق النخيل (السَّعف)، وجذوع النخل (الكِرَناف)، وقشور الأشجار (العُشب).

لكن حتى وفاة النبي ﷺ، لم يجمع القرآن في شكل كتاب واحد، لأن إمكانية نزول آيات جديدة أو نسخ آيات سابقة كانت قائمة دائماً. لذلك، ورغم أن جميع آيات القرآن كانت مكتوبة، إلا أنها لم تكن مجمعة في مكان واحد، ولا كانت السور مرتبة بالترتيب النهائي المعروف (أي لم تكن مجموعة في موضع واحد ولا مرتبة السور). هذا هو الرأي الذي عليه غالبية العلماء.

ومع ذلك، يرى بعض العلماء أن النبي ﷺ ترك خلفه نسخة مكتملة من القرآن في صورة مصحف. كما وردت بعض الروايات التي تشير إلى أن بعض كتّاب الوحي كانوا يتعمدون تغيير ما يُملى عليهم. وتُذكر في هذا السياق مجموعتان من نسخ القرآن منسوبتان إلى صحابييين بارزين، هما أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما. ووفقاً لهذه الروايات، فإن ترتيب السور في كل نسخة كان مختلفاً، ليس فقط بينهما، بل أيضاً مقارنة بالمصحف العثماني الذي اعتمده المسلمون لاحقاً كمصحف رسمي.

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن بعض الروايات تذكر أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لم يكن يعتبر آخر سورتين من القرآن (سورتي الفلق والناس) من القرآن أصلاً (ويجدر بالذكر أن هذا القول ضعيف جداً (المترجم).

المصادر والمراجع

١- بيان موجز عن سيرته، يُرجى مراجعة الملحق (أ) الوارد في خاتمة الكتاب.

٢- من بين هؤلاء: غوتهلف بيرغشتراسر (ت. ١٩٣٣م)، ألفونس مينغانا (ت.

١٩٣٧م)، برنارد موريتز (ت. ١٩٣٩م)، جورجيو ليفي ديلا فيدا (ت. ١٩٦٧م)، نايبة أبوت (ت. ١٩٨١م)، فرنسوا ديروش (من مواليد ١٩٥٢م)، يفيم أ. ريزفان (من مواليد ١٩٥٧م)، القس كيث سمول، مايكل ماركس (مدير الأبحاث: كوربوس قرآنيكوم).

٣- أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ط. ٢، ج. ١ (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٠)، ص ٣٠٦.

٤- انظر - على سبيل المثال: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، ط. ٣، ج. ٤ (بيروت: دار ابن كثير، ١٩٨٧)، حديث رقم ٤٧١٧، ص ١٩١٣.

٥- من هؤلاء العلماء: عبد اللطيف الرحمانى (ت. ١٩٥٩م)، تمنا عمادي (ت. ١٩٧٢م)، وأبو القاسم الخوئي (ت. ١٤١٢هـ). انظر، على التوالي: عبد اللطيف الرحمانى، تاريخ القرآن، ط. ١ (لاهور: مكتبة صفّة، ٢٠٠١)، ص ٥٤-٥٦؛ تمنا عمادي، جمع القرآن، ط. ٢ (كراتشي: مطبعة الرحمان، ١٩٩٤)، ص ١٦٩-١٧٠؛ محمد أبو القاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ط. ٥ (قم: المطبعة العلمية، ١٩٧٤)، ص ٢٦٩-٢٧٠.

٦- الفصل الأول من القسم الأول يقوم بالرصد والنقد للروايات التي تشكل أساس هذه القضية.

٧- انظر - على سبيل المثال -: جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد بن سابق الدين السيوطي، الإِتقان في علوم القرآن، ط. ٢، ج. ١ (بيروت: منشورات الرضي، ١٣٤٩هـ)، ص ٢٠٢-٢١١.

٨- الفصل الثاني من القسم الأول يقيّم بشكل نقدي الروايات التي تصف هذا الجمع.

٩- الفصل الثالث من القسم الأول يقيّم بشكل نقدي الروايات التي تصف هذا الجمع.

١٠- السيوطي، الإِتقان، ج. ١، ص ٢٠٤-٢٠٥.

١١- انظر - على سبيل المثال -: الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل، ط. ١ (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٧٤)، ص ٢٦-٢٧؛ أبو عبد الله محمد بن

- أيوب بن الضريس، فضائل القرآن، ط. ١ (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٨)، ص ٣٥-٣٦؛ أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث، كتاب المصاحف، ط. ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥)، ص ١٦.
- ١٢- من هؤلاء العلماء: ابن كثير (ت. ٧٧٤هـ) وابن حجر (ت. ٨٥٢هـ). أظن على التوالي: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، فضائل القرآن (القاهرة: دار الحديث، بدون تاريخ)، ص ٥١؛ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري، ط. ٤، ج. ٩ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨)، ص ٩-١٠.
- ١٣- من هؤلاء العلماء: نولده (ت. ١٩٣٠م) والزرقاني (ت. ١٩٤٨م). أنظر على التوالي: تيودور نولده وفريدريش شفالي، تاريخ القرآن (ترجمة: جورج تامر)، ط. ١ (بيروت: مؤسسة كونراد أديناور، ٢٠٠٤)، ص ٢٧٨-٢٧٩؛ محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، ط. ٢، ج. ١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٨)، ص ١٨٣.
- ١٤- يقدم الفصل الرابع من القسم الأول دراسة نقدية للروايات التي تتحدث عن الجمع المنسوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه".
- (للحديث صلة ...)





دكتور محمد غطريف شهباز الندوي

دراسة نقدية لتفسير «مفتاح القرآن الكريم» للعلامة شبير أحمد أزهر الميرتهي

(الحلقة الرابعة)

تفسير مختلف لقوله تعالى: وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت: وقد نوقش في هذا التفسير مفهوم الآية الكريمة (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) — البقرة: ١٠٢ — على خلاف ما ذهب إليه معظم المفسرين، لأن حرف "ما" يُفسَّر عندهم غالباً باعتباره مصدرية، فيعني: "اسم السحر" أو "مادة سحر"، وتنشأ بالتالي الدلالة على أن هاروت وماروت كانا مَلَكَيْنِ عَلَّمَهُمَا اللَّهُ السَّحْرَ، قضى الله بإرسالهما إلى الأرض كامتحانٍ للناس. والمشكلة التي أثارها الميرتهي هنا أن هذا التأويل يوصل إلى أن السحر مصدره الله، وأنه حق — وهو ما يتنافى مع أن الإسلام يعتبر السحر كفرًا. وعادةً يجيئون بتأويلات بعيدة لهذه الإشكال الكبير.

ومن أجل هذه الحيرة، عمد العلامة الميرتهي إلى تأويل مختلف لمفاده: "ما" هنا نافية، فيكون معناه إذاً "ولم يُنزل في الحقيقة على ملكين هاروت وماروت السحر في بابل"، فهذا نفي. وقد زاد في تفسيره أن رجلين في أرض بابل — أقاما في أطراف صحرائها المهجورة — اشتهرا بالسحر وجعلوا لأنفسهما سمعة غامضة وغربة طارئة. وكان من عادة ممتهني السحر أن لا يروّضوا إلا طالبًا جازمًا بالأخذ فيختبرونه بالتجربة، فإذا ثبت استحقاقه صار من تلامذتهم. وأغلب الظن أنهما كانا من نسل العبرانيين، لأن هذين الاسمين من أصول عبرانية. (٣٤)

التفسير الصحيح لقوله تعالى: لولا كتاب من الله سبق لمسكم : كما أنه جاء في شرحه للآية الكريمة (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم فيه عذابٌ عظيم) — الأنفال: ٦٨ — بقول مخالف لما هو شائع، فقال إن التفسير الشائع الذي يقول إنّ الآية نزلت بسبب الإفراج عن سبعين أسيرًا من المشركين في معركة بدر على فدية، باعتبارها نوعًا من العتاب الإلهي لا يتماشى مع المنطق السليم والدليل النقلى والعقلى،

ولذا فإن المفسر الميرثي مال إلى أن المعنى هو بناء تشريعي للمسلمين وعليه فمفاد الآية إذا: "إنّ الله قد قرر سابقًا مشروعية غنيمة الكافرين وأصدر حكمًا بذلك، فلو لم يكن هذا الأمر الشرعي واضحًا مسبقًا، لكان ترككم قتلهم واقتصاركم على أخذ الغنيمة دون القتال نتيجة ميلٍ إلى الدنيا - مما يستدعي عذابًا شديدًا. لكن الخطأ قد عُفِر، فخذوا أموال الخمس التي لكم وانصرفوا". ويقول إضافةً إلى ذلك:

"لقد أخطأ بعض المفسرين في فهم المعنى الصحيح لهذه الآيات بسبب بعض الروايات. فقد ظنوا — وبلّغوا الناس ذاك الفهم الظني — أن العتاب الوارد في هذه الآيات كان بسبب الأسرى السبعين من كفار قريش الذين أُسروا في غزوة بدر، والذين أطلق النبي ﷺ سراحهم مقابل الفداء بعد مشورة أبي بكر رضي الله عنه وغيره. فحسبوا أن الآيات تشير إلى أن الأصلح والأولى كان قتل الأسرى لا إطلاقهم مقابل الفداء. ولكن لو أن المفسرين تدبروا هذه الآيات على وجهها الصحيح، ووزنوا تلك الروايات بميزان التحقيق والنقد، لما وقعوا في هذا الفهم الخاطئ". (٣٥)

وفي هذا السياق قد أنكر العلامة الميرثي أيضًا الرواية التي تقول إنّ الله أعطى للمسلمين اختيارًا بين قتل الأسرى أو إطلاق سراحهم مقابل فدية. يقول إنّ هذه الأثر رواية ضعيفة جاءت من رواة ضعاف مثل الواقدي والسدي، وأنّ الإمام البخاري والمسلم لم يروياها. ويستغرب كيف يُعاب ويلام المسلمون من أخذ الفدية، في حين أنها إن كانت مشروعًا من البداية، فلا مشاحة فيها ولا لوم" (٣٦).

ولا يُراد ب"فاسق" الوليد بن عقبة: وفي شأن نزول الآية (وإذا جاءكم فاسق

بنياً فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة) — الحجرات: ٦ — قد علق الميرتحي على تأويل بعض المفسرين بأن الفاسق هو وليد بن عقبة، وهي رواية مشهورة سائدة، فقال إن هذه الآراء ساقطة، وأورد نقداً علمياً حديثاً لتلك الأسانيد والآثار كلها المنقولة في كتب التفسير وخلص من كل أنها روايات واهية فضولية.^(٣٧)

وبالنسبة لمسألة تحويل القبلة، فقد رفض المفسر الميرتحي الروايات الشائعة حول تحويل القبلة وقال إنه لم يتم تحويل القبلة أبداً بل كان دائماً التوجه إلى الكعبة. واستند إلى الفعل "ولّى" لها دلالات إعطاء الغلبة والاستيلاء على الكعبة المشرفة، لا الإشارة إلى الاتجاه، واستدل بأن الآثار المعمارية للمسجد النبوي نقلت بالتواتر ولا تنقل أي تحويل للقبلة فيها، وكذلك يقول إن هناك عديد من المساجد التاريخية والتي أنشئت قبل المسجد النبوي وبعدها مثل مسجد الصخرة ومسجد سيدنا نوح، وهي كلها متجهة إلى الكعبة ويجدر بالذكر أن الإمام أب العالية الرياحي من التابعين وأبامسلم الاصفهاني من المعتزلة أيضاً لم يقبلوا الرأي السائد في تحويل القبلة، وغيرها من الأدلة التي جمعها في نحو ٢٠ صفحة بحثاً وتحليلاً.^(٣٨)

ترجمات وتفهيمات خاصة

كما أن المفسر الميرتحي له ترجمات خاصة لبعض الآيات مثل آية المائدة: رقم (٤٨) لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً

فترجمه وشرحه بقوله: إننا وضعنا لكل أمة منكم شرعة واحدة ومنهاجاً واحداً فقط — (والمقصود هو القرآن والسنة) مخالفاً لرأي القائلين بأن لكل قوم ديناً وطريقة أخرى مستقلة.^(٣٩)

كما أن له رأي آخر في قوله تعالى: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب، وأخرى متشابهاً) — (آل عمران: ٧) فقال إن القرآن كلهم حكم، وأطلق كلمة "متشابهة" هنا على الكتب السماوية السابقة. فوضع كلمة "هن أم الكتاب" بمستقلة، ثم "آخر متشابهاً" كجملة وصفية لكتب التوراة والإنجيل، خلافاً للرأي الشائع الذي يفرق بين آيات القرآن إلى المحكم والمتشابه. وتفسيره هذا امتد إلى نقد لمصدرية التوراة والإنجيل من منظور تاريخي ونقد نصي، حيث استدلل بمراجع مثل الموسوعة البريطانية الشهيرة ليبين تشابك الحق

والباطل فيهما، وأنّ ما جاء في القرآن هو أكثر صحة ونزاهة^(٤١).

التفسير الصحيح لآية "هذا ربي هذا أكبر": وردت كلمة " هذا ربي " في عدة مواضع من الآيات لسورة المائدة، وأخذت باعتبارها قول إبراهيم عليه السلام، وهو ما اتفق عليه المفسرون عموماً، ورُفِضَت الاعتراضات عليه، حول كيفية تفوّه نبيّ بمثل هذه العبارة الشركية. وقد وصف المولانا المودودي هذا بأنه قول إبراهيم في فترة بحثه عن الحقيقة، لكن السؤال هو: هل يمر الأنبياء بهذه الفترة؟ إنهم يكونون تحت رقابة الله تعالى في كل مرحلة من مراحل حياتهم، وإن كانوا غافلين عنها.

وقد فسّر العلامة الميرتحي الآية: " فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هُذاري فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هُذاري، فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لا كونن من القوم الضالين، فلما رأى الشمس بازغة قال هُذاري هذا أكبر، فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون (الأنعام: ٧٦-٧٨): أي فلما جن عليه الليل رأى آزر كوكباً في السماء فقال هذا ربي فلما توارى قال إبراهيم لا أحب المتواري، فلما رأى آزر القمر قال هذا ربي أعبد، فلما توارى قال إبراهيم أقسم بالله لئن لم يهدني ربي لأكونن من الضالين، فلما رأى آزر الشمس أشرقت قال هذا ربي هذا الإله الأكبر فلما توارت قال إبراهيم يا قوم إني بريء مما تشركون من أصنامكم.

ثم أضاف قائلاً: "في هذه الآيات، فاعل الفعل "رأى" وقائل هذا ربي هذا أكبر" هو آزر والد إبراهيم لا إبراهيم نفسه كما أوضحت في الترجمة، لأن هذه الآيات سرد فيها الحوار بين إبراهيم وآزر. وفي اللغة الفصيحة تُرجع كل عبارة إلى مصداقها بأدنى تأمل وتروّ فيها". ثم استشهد بمقارناتها من القرآن الكريم. وقد تبين أيضاً أن هذا الحوار البليغ بين الأب والابن لا بد أن يكون قد جرى في أزمنة وأماكن مختلفة. ويُعتقد أن هذا الحوار لا بد أن يكون قد جرى في معابد فينوس، إلهة القمر، وإله الشمس، التي كان يعبدها قوم إبراهيم. وقد كان كذلك بناءً على الترتيب الظاهري للنصوقرينة الخطاب^(٤٢).

حدث الإفك العظيم: وجادل المفسر الميرتحي في حادث الإفك، واعتبر أن الروايات الواردة ضعيفة وموضوعة اختلقها بعض الرواة للطعن في السيدة عائشة

رضي الله عنها كالروافض ، وأنه كان هناك محاولة من المنافقين لبث أكاذيب وافتراعات حول النساء المؤمنات الطاهرات العفيفات لخلق أجواء الفضيحة في المدينة المنورة ولا تمت بصلة إلى حدث حدث مع السيدة عائشة رضي الله عنها^(٣). ويرى هذا الكاتب: نعم قد يمكن أن تكون الأحاديث والآثار المروية في ذلك ضعيفة مختلقة، ولكن بما أن الآية تطلب أربعة شهداء على إفك كهذا ما يدل على وقوع حادثة كبرى بعينها، وإلا فلامعنى لطلب أربعة شهداء على فضيحة عامة في أجواء المدينة.

دراسة الكتب السماوية: درس المفسر الكتب السماوية الأخرى، كالإنجيل والتوراة، بعمق، واستفاد بها في تفسيره. قارن قصة سليمان وداود (عليهما السلام) في القرآن الكريم بأحاديث الكتاب المقدس، وقال: "كان داود وسليمان (عليهما السلام) عبيدين صالحين من الربانيين وأنبياء لله، وفي الوقت نفسه ملكين عظيمي المجد والقوة. ومملكتهما قدوة حسنة لجميع الحكام. لم يستخدموا السلطة التي منحها الله إياها إلا في نشر الدين الحق. ولكن إذا قرأت ذكر داود وسليمان في كتب بني إسرائيل، فلن ترى فرقاً بينهما وبين غيرهما من طغاة العالم. كما ورد ذكر مجيء ملكة سبأ للقاء سليمان (عليه السلام) في كتب بني إسرائيل، ولكنه مشوب بأمور باطلة وقذرة. لا يوجد ذكر للهدهد، ولا لعبادة الملكة للشمس، ولا لعرش الملكة، ولا لرسالة سليمان. وكتاب ربيون يحتوي على كل هذه الأمور، ولكنه لا يذكر شيئاً عن التوحيد، أو عبادة الله، أو شكره. فصحيفة ربيون تؤكد أن سليمان، والعياذ بالله، زنى بالملكة بلقيس وحملت. ومن نسل هذا الحمل غير الشرعي، وُلد ملك بابل، بنحت نصر" (الموسوعة اليهودية، المجلد ١١، ص ٤٤٣). في الصفحتين ٤٣٩ و ٤٤١ من الكتاب نفسه، ذكرت اتهامات ضد سليمان بمخالفة أوامر التوراة، وقهر الحكومة، وخطرة العقل، واتباع الزوجات، والترف، والشرك، وعبادة الأصنام. وفي سفر الملوك من التوراة، مكتوب أن "سليمان كان ضائعاً في حب النساء المشركات، وانحرف قلبه عن الله واتجه إلى آلهة أخرى من دون الله". وقد أظهر الله تعالى السيرة الطاهرة لسيدنا داود وسليمان (عليهما السلام) على الملأ من خلال القرآن الكريم، وغسل كل التهم التي وضعها اليهود الكاذبون على سيرة هذين الرجلين العظيمين".^(٤)

المراجع والهوامش

- ٣٣- مفتاح القرآن، تفسير سورة الفاتحة، الجزء الأول، الصفحة ٢٣
- ٣٤- شبير أحمد الميرتحي، مفتاح القرآن: تفسير سورة الفاتحة، المجلد الأول، ص ٢٢٤-٢٢٧.
- ٣٥- شبير أحمد الميرتحي، مفتاح القرآن: تفسير سورة الأنفال، المجلد الثاني، ص ٦٣٦.
- ٣٦- المصدر نفسه، ص ٦٣٧.
- ٣٧- المصدر نفسه، ص ٦٣٨.
- ٣٨- شبير أحمد الميرتحي، مفتاح القرآن: تفسير سورة الحجرات (مسودة)، ص ٥٥٣-٥٦١؛ وانظر كذلك بحث: "سبب نزول الآية: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾" - هل كان الوليد بن عقبة فاسقاً؟ لكتب هذه السطور، مجلة إشراق، أمريكا، يناير-فبراير ٢٠٢٥.
- ٣٩- شبير أحمد الميرتحي، مفتاح القرآن، المجلد الأول، الطبعة الثانية، ص ٢٩٣-٣٠٨
- ٤٠- المصدر نفسه، ص ٥٨٩.
- ٤١- المصدر نفسه، ص ٥٩٠.
- ٤٢- شبير أحمد الميرتحي، مفتاح القرآن، المجلد الثاني، ص ٣٩٣.
- ٤٣- شبير أحمد الميرتحي، مفتاح القرآن: تفسير سورة النور، المجلد الرابع، ص ٣٢-٥؛ وانظر أيضاً: حكيم نياز أحمد، [عنوان الكتاب غير مذكور]، حيث أفاد من تحقيق الميرتحي دون الإشارة إلى مصدره.
- ٤٤- شبير أحمد الميرتحي، مفتاح القرآن: تفسير سورة النمل، الآيات ١٥-٤٤، المجلد الرابع، ص ١٦٤.

(يتبع ...)



وجهات نظر



كتبه: العلامة شبير أحمد أزهر الميرتهي

تعريب وتقديم: د. محمد غطريف شهباز الندوي

الآحاديث المتعلقة باختلاف القراءات في ميزان الدراية

[هذا العمود المعنون بـ "وجهات نظر" مخصص لكتابات مختلف
أصحاب الفكر وتعبر عن آراء أصحابها وليس من الضروري
أن تتفق المؤسسة مع المقالات المنشورة تحته]

الحديث المروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
قال الإمام البخاري رحمه الله:

"حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، قال: قال عبد الملك بن ميسرة، أخبرني،
قال: سمعت النزال بن سبرة، قال: سمعت عبد الله (يعني ابن مسعود) يقول:
سمعت رجلاً يقرأ آيةً بخلاف ما سمعته من رسول الله ﷺ، فأخذت بيده وأتيت
به رسول الله ﷺ، فقال: كلا كما تحسن. قال شعبة: أظنه قال: لا تختلفوا، فإن
من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا." (صحيح البخاري، ص ٥٢٣ كتاب
الخصومات، ص ٤٩٤ أول كتاب الأنبياء، ص ٧٥٧ آخر كتاب فضائل القرآن -
طبع الهند)

وقد ذكر الإمام البخاري هذا الحديث في ثلاثة مواضع من صحيحه، كما رواه الإمام أحمد أيضاً في مسنده (الجزء الأول، ص ٣٩٣، ١١٤، ٢١٤، و٦٥٤).
ورواه شعبة عن عبد الملك بن ميسرة الهلالي الكوفي، عن النزال بن سبرة الكوفي، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: سمعت رجلاً يقرأ آية بخلاف ما سمعته من رسول الله ﷺ (والتي كان قد علّمني إياها)، فأخذت بيده وجئت به إلى رسول الله ﷺ، فقصصت عليه القصة (فسمعها منه ومني)، فقال: «كَلَّا كَمَا مُحْسِنٌ». وقال شعبة: أغلب ظني أن عبد الملك بن ميسرة قال بعد ذلك: إن رسول الله ﷺ قال: «لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا». (مسند أحمد ٦٥٤/١)

ولكن هذا الحديث يدل على أن رسول الله ﷺ نفسه هو الذي أدخل ابن مسعود رضي الله عنه وذلك الرجل (الذي لم يذكر اسمه في أي رواية) في موضع اختلاف، فقد علّم كلاهما قراءة آية بطريقة مختلفة، ثم قال لهما: «كَلَّا كَمَا مُحْسِنٌ»، مع أن الحق لا يمكن أن يكون إلا في أحد الأمرين المختلفين إذ تعلق الأمر بكلام منزل من عند الله. فما الحكمة في إيقاعهما في هذا الاختلاف ثم نهيهما عنه؟

ومن الواضح أن الاختلاف بين ابن مسعود وذلك الرجل لم يكن خلافاً في الوصل والفصل، وإلا لما ذهب به إلى رسول الله ﷺ، لأن عامة الناس لا يعدّون اختلاف الوصل والفصل (كما في: الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين) خلافاً جوهرياً، ولا يعترض عليه أحد.

لذلك، فإن هذا الحديث المروي عن شعبة (بصفته عارياً من المنطق السليم. غ) يبدو أنه من القصص المختلقة التي نسجها قراء الكوفة. كما ورد حديث آخر عن اختلاف القراءات من طرق أبي وائل، وزر بن حبيش، وعبد الرحمن بن عابس عن ابن مسعود رضي الله عنه، وكلها روايات موضوعة ومفترة عليه، وهي موجودة أيضاً في مسند أحمد.

بخاري كا مطالعة (دراسة للبخاري) اردو، الجزء الثاني ص ٥٥

حديث اختلاف القراءة بين عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم رضي الله عنهما في
سورة الفرقان
قال الزهري:

"حدثني عروة بن الزبير، أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القاري
حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة
الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف
كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ، فكُدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم،
فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ.
فقلت: كذبت، فإن رسول الله ﷺ أقرأنيها على غير ما قرأت. فانطلقت به أقوده
إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم
تقرئنيها. فقال رسول الله ﷺ: أرسله. أقرأ يا هشام، فقرأ كما سمعته، فقال النبي
ﷺ: كذلك أنزلت. ثم قال: أقرأ يا عمر، فقرأت، فقال: كذلك أنزلت. إن هذا
القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه." (صحيح البخاري، ص
٦٢٣ كتاب الخصومات، ص ٧٤٧ كتاب فضائل القرآن، ص ٤٥٧، ص ٥٣١
كتاب استتابة المعاندين والمرتدين، ص ٦٢١١ كتاب التوحيد)

وقد أورد البخاري هذا الحديث بخمس صيغ متقاربة في صحيحه.
وملخصه: أن عمر رضي الله عنه سمع هشامًا يقرأ سورة الفرقان بطريقة
تختلف عن التي تعلمها هو من النبي ﷺ، فكاد يهجم عليه في الصلاة، ثم بعد
انتهائها جرّه إلى النبي ﷺ، وبعد أن سمع النبي ﷺ قراءتهما قال إن كليهما
صحيح، ثم بيّن أن القرآن أنزل على سبعة أحرف.
لكن هناك ثلاث ملاحظات على هذا الحديث:

أولاً: يلزم من هذا الحديث أن رسول الله ﷺ هو من أدخل عمر وهشامًا في
الالتباس والاختلاف. فحين علّم عمر قراءة السورة -سورة الفرقان- لم يبيّن له
أن بعض الآيات منها يمكن أن تُقرأ بطرق متعددة، وكذلك هشام. ولو كان
عمر يعلم تلك الأحرف لما غضب على هشام، والعكس صحيح. فيلزم من ذلك
أن النبي ﷺ قد أخفى عن عمر وهشام حروفاً من القرآن أنزلها الله! فهل يُعقل
أن رسول الله ﷺ يكتُم شيئاً من الوحي؟

والجواب: لا يمكن أن يُتصوّر هذا في حق النبي ﷺ، بل كل مسلم يعتقد أن النبي ﷺ بلغ ما أنزل إليه كاملاً. وإذا كانت نتيجة رواية ما مخالفة لهذه العقيدة القطعية، فإن تلك الرواية نفسها باطلة.

(ولذلك فإن هذا الحديث الذي رواه الزهري عن عروة لا يمكن أن يُقبَل. ولهذا يقول الأستاذ جاويد أحمد غامدي إنه قد اعتبر السيوطي هذا الحديث في شرحه على الموطأ «تنوير الحوالك» من المشكلات والمتشابهات. (انظر: جاويد أحمد غامدي، ميزان، ص ٣٠، غ).

ثانياً: من المعروف أن المصحف الشريف قد كُتب في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما تحت رقابتهما الشديدة، فأين ذهبت تلك الحروف التي لم يكن عمر يعرفها، أو التي لم يعرفها هشام؟ (وقد قيل توجيهاً أن هشام أسلم متأخراً، فلعله ألم بنفسه ببعض اللهجات الأخرى والتي كانت الأعراب ينطقون بها، لكن هذا مرفوض لأن الرواية نفسها تنص أن هشام قال: «أقرأنيها رسول الله ﷺ»، أي علمني إياها، لا أنه تعلمها هو من لهجة غير قریش، غ).

ثالثاً: في آخر الحديث قال الزهري إن النبي ﷺ قال: «فاقرؤوا ما تيسر منه». والضمير في «منه» هنا يجب أن يعود إلى «سبعة أحرف»، ويجب أن يكون «منها» لكن الآية الأصلية من سورة المزمل (آخرها) تقول: «فاقرءوا ما تيسر منه»، أي من القرآن، فالضمير راجع إلى «القرآن» لا إلى «الأحرف السبعة». فالزهري ألحق كلام الله بكلام النبي ﷺ في هذا الموضع بطريقة توهم أن كلاً من كلام النبي، وهي تلبیس واضحة منه، وربما ظن أنها لن تُكتشف.

والخلاصة أن هذه الرواية باطلة تماماً. وقد أوردها الإمام البخاري في صحيحه اعتماداً زائداً على الزهري، دون أن يتأمل في المضمون والمداول. وقد رواها مسلم والترمذي والنسائي وأحمد أيضاً، ولكن لم يروها أحد عن عروة بن الزبير سوى الزهري. وأعتقد أن الزهري لم يسمع هذه الرواية من عروة، ولا عروة قالها، بل دسها عليه أحد الناس ثم رواها الزهري عنه. وقد وردت عبارة «عن عروة» في بعض الأسانيد مثل إسناده الإمام مالك، ولكن تلاميد الزهري أخطأوا فبدل «عن عروة» قالوا «أخبرني عروة» أو «حدثني عروة». (انظر: صحيح البخاري، ص ٦٢٣ - طبع الهند)

(فالحديث ضعيف، ولا يصح الاستدلال به) (أنظر: بخاري كما مطالعة - الجزء الثاني (بالأردية) ص ٤٥-٨٥)

الحديث المنسوب إلى ابن عباس رضي الله عنهما في شأن الأحرف السبعة عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال:

"أقرأني جبريل على حرف، فلم أزل أستزيده فيزيديني، حتى انتهى إلى سبعة

أحرف." (صحيح البخاري، ص ٧٤٤ بدء الخلق، ذكر الملائكة، وص ٣٧٢

كتاب الصلاة - طبع الهند، ومسند أحمد ١/٣٦٢، و٩٩٢)

ومدوله أنه روى الزهري عن عبيد الله، عن ابن عباس، أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن على حرف، فطلب النبي ﷺ منه أن يزيده فزاد حتى بلغ سبعة أحرف.

وهذه الرواية باطلة من أولها إلى آخرها.

فهل فكر أحد رواة الحديث يوماً:

١. لماذا كان النبي ﷺ يُلحّ في طلب زيادة الحروف على جبريل؟ ولماذا لم

يقتنع بما أنزل عليه أول مرة؟

(٢) إذا قرأ شخص كتاباً أو جملةً أو حرفاً بطريقة واحدة، فهذا أسهل مقارنة بأن يقرأه بسبع أو ست أو خمس أو أربع أو ثلاث طرق مختلفة. مثلاً، يقرأ كلمة "أنعمت عليهم" مرةً، ثم يقرأ "نعمت"، وفي المرة الثالثة "إنعمت"، وفي الرابعة "أنعمت"، وفي المرة الخامسة "نعمت"، وفي السادسة "نعمت"، وفي السابعة "نعمت". فكيف يطلب النبي ﷺ من الأمة أن تقرأ القرآن بطرق متعددة مع كل هذا العنت والخرج؟ (ومع أن المعاني أيضاً تتبدل بتبدل الإعراب؟) هذا لا يليق بالحكمة النبوية.

٣- هل يوجد في أي رواية، صحيحة أو ضعيفة، أن النبي ﷺ علّم الصحابة

آية واحدة بقراءتين مختلفتين؟ لا يوجد بالطبع.

لقد علّم النبي ﷺ الصحابة القرآن، ومنهم تعلمه التابعون، ومن بعدهم أتباع التابعين، وبهذا التواتر والتسلسل وصل إلينا القرآن الكريم كما هو، بآياته وكلماته. حتى زمن الحجاج بن يوسف الثقفي، كانت المصاحف تُكتب دون

تشكيل أو علامات الإعراب، ثم عيّن الأمير الحجاج سبعين عالمًا ثقةً لضبط المصحف بالشكل والإعراب تسهيلًا للمسلمين، وذلك هو المصحف الذي يُقرأ ويُطبع اليوم.

لكن للأسف، الذين أحبوا الاختلاف سعوا جاهدين لجعل القرآن نفسه ساحة اختلاف، واخترعوا لأجل ذلك أحاديث مرفوعة، ونسبوا آثارًا إلى الصحابة، وروى تلك الأحاديث الموضوعات رواة لا يخافون الله، ونشرها المحدثون والمصنفون بسلامة نية وسداجة طبع وبلا تدقيق كاف.

(ووفقًا بمبحثنا) فإن هذا الحديث أيضًا من جملة تلك الأحاديث المرفوعة، وقد رواه الزهري عن عبيد الله، عن ابن عباس. (انظر كتاب: بخاري كالمطالعة – الجزء الثاني، ص ٤٩)



بقلم: الدكتور محمد سعد سليم
ترجمة من الأردية: الأستاذ عثمان فاروق

توافق علامات القيامة في الحديث النبوي مع الأحداث التاريخية في ضوء الكتاب المقدس والقرآن (الحلقة الثانية)

الدجال - قدوم المسيح الكاذب

الدجال تعني الكلمة "الكذاب الأكبر"، يعرف كذلك بلقب "المسيح الدجال"، أي "المسيح الكاذب". أما لفظ "مسيح" (من العبرية مشياح، أي "الممسوح")، فكان يطلق في إسرائيل القديمة على من يختارون من قبل الله ملوكاً أو أنبياء أو كهنة، ويمسحون بالزيت رمزا للتكريس الإلهي. غير أن مفهوم المسيح تطور عبر الزمن، من مجرد شخص مكرس إلى رمز للمخلص المنتظر، انعكاساً للصراعات التاريخية وآمال الخلاص والتفسيرات الدينية. وفي هذا الإطار، يظهر المسيح الدجال بوصفه شخصية تدعي الخلاص، مستغلة توق الإنسان للخروج من معاناته وآلامه الفطرية. وهذه الحاجة إلى الخلاص لا تقتصر على جانب ديني محدد. وتشير الروايات إلى أن على جبينه سيكون مكتوباً "كافر"، مما يدل على إنكاره لله، وأن وعوده لا تستند إلى وحي أو أسس دينية. وعلى عكس "دابة الأرض" التي ترمز إلى القوة القاهرة، فإن الدجال يظهر في صورة بشر، تماماً كما صورت الإمبراطورية البابلية في بعض العصور لاحقاً بهيئة إنسانية.^{٣٤} وهذا يفهم منه أن الدجال ليس كيانا عسكريا بحتا، بل دولة قائمة على عقائد مضللة تخدع الناس بوعودها الزائفة.

هوية الدجال

أشارت الأحاديث النبوية إلى جملة من العلامات والأحداث التي تسبق ظهور

الدجال، بالإضافة إلى صفاته المميزة التي تساعد على التعرف عليه.

الأحداث الممهدة لظهور الدجال

ورد في عدة أحاديث ذكر أربعة أحداث مفصلية في تاريخ الأمة الإسلامية، تعد من أبرز محطات الصراع الإسلامي-المسيحي، وتعكس في الوقت ذاته مظاهر الابتلاء الجماعي للأمة. وهذه الأحداث هي:

١- معركة اليرموك - حيث حقق المسلمون نصرا حاسما على الإمبراطورية البيزنطية (الروم).

٢- معركة أنطاكية إبان الحملة الصليبية الأولى - وقعت شمال الشام، وكانت نقطة انطلاق للهجمة الصليبية.

٣- فتح القسطنطينية - الذي مهد لرفع الراية الإسلامية فوق عاصمة البيزنطيين على يد العثمانيين.

٤- سقوط الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى - حيث انهارت الخلافة أمام قوات الحلفاء.

ورغم التباعد الزمني بين هذه الأحداث، إلا أن خيطا ناظما يربطها جميعا. فالأحداث الثلاثة الأولى ترتبط بالإمبراطورية الرومانية، بينما تتجلى في الأحداث الثلاثة الأخيرة بروز الأتراك المسلمين، الذين استقروا في الأناضول وأصبحوا محور الثقل العسكري والسياسي في العالم الإسلامي.

الحرب الكبرى بين الروم والمسلمين - معركة اليرموك (٦٣٦م)

ورد في الحديث الشريف^{٣٥} أن معركة ضارية ستقع مع جيش قادم من الشام، يقاتل فيها المسلمون بعزم على الشهادة أو النصر. وخلال الأيام الثلاثة الأولى، يتكبد الطرفان خسائر جسيمة دون أن تحسم المعركة. أما في اليوم الرابع، فستنقض فرقة من المسلمين على العدو وتكسره. ستكون المعركة شديدة إلى درجة أن الطير المحلق في السماء لن يسلم من آثارها. وفي نهايتها، سيكون القتل عظيماً حتى إذا تم إحصاء القتلى، لا ينجو إلا واحد من كل مئة.

يشير هذا الحديث إلى المعركة العظيمة التي وقعت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وهي معركة اليرموك ضد البيزنطيين المسيحيين في بلاد الشام. دامت المعركة ستة أيام، خصص اليوم الأول فيها للمناوشات وتقييم الوضع، بينما شهد

اليوم الخامس عرضًا للهدنة من جانب البيزنطيين، وإعادة تنظيم الصفوف استعدادًا للمواجهة الفاصلة. ولهذا ورد في الحديث ذكر أربعة أيام من القتال العنيف فقط. وشهدت الأيام الثاني والثالث والرابع من المعركة مواجهات عنيفة وخسائر بشرية فادحة. وقد لعب سلاح الفرسان المسلمين دورًا محوريًا في تثبيت الصفوف وصد هجمات العدو، وكانوا يندفعون بلا تردد في قلب المعركة. وكان على رأس هؤلاء الصحابي الجليل عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه، ومعه أربعمئة من المجاهدين الشجعان الذين اندفعوا نحو الموت غير آبهين، مجسدين بذلك ما ورد في الحديث من ذكر "شرطة الموت".^{٣٦}

وفي اليوم السادس، الذي كان في حقيقته اليوم الرابع من القتال الشديد، شنّ المسلمون هجومًا حاسمًا، فأيدهم الله بنصره، وتكسّرت صفوف الروم بالكامل. وقد تكبّد المسلمون أيضًا خسائر جسيمة. وأما ما ورد من وصف الطيور التي لا تقدر على الطيران فوق أرض المعركة، فهو إشارة إلى كثافة السهام المتطايرة والغبار المتصاعد، مما يعكس شدة القتال. وتعدّ هذه المعركة نقطة تحوّل مفصلية في التاريخ، حيث أُرست دعائم السيطرة الإسلامية على بلاد الشام. نزول الروم في دابق أو أعماق ومواجهتهم للمسلمين - معركة أنطاكية في الحملة الصليبية الأولى (١٠٩٨م)

ورد في الحديث الشريف^{٣٧} أن الروم سينزلون في دابق أو أعماق، فتخرج لملاقاتهم جيش من خيار أهل المدينة، ويطالب الروم بإطلاق سراح أسرى لهم في يد المسلمين، فيرفض المسلمون، فتقع المعركة. ويقسم المسلمون فيها إلى ثلاثة أقسام: ثلث يفرّ فلا يقبل الله توبته أبدًا، وثلث يقتل ويكون من أفضل الشهداء، وثلث يثبتهم الله فلا يصيبهم ابتلاء. وقد تجلّى هذا المشهد التاريخي بوضوح خلال الحملة الصليبية الأولى، حينما استنجدت الإمبراطورية البيزنطية بالقوى المسيحية الأوروبية ضد السلاجقة الأتراك. وكان من أبرز أهداف تلك الحملة تحرير الأماكن المقدسة المسيحية، وعلى رأسها القدس، من قبضة المسلمين. وتصور الأحاديث هذا الطموح الصليبي وكأنهم يرون أن هذه المواقع محتجزة لدى المسلمين، ويجب استردادها بأي ثمن. بعد سلسلة من الانتصارات في الأناضول، اتجه الصليبيون نحو شمال الشام، وكان هدفهم الأول مدينة أنطاكية،

وهي من أهم مدن تلك المنطقة. ومن الشمال، تقدموا عبر جبال مرعش حتى نزلوا في أعماق،^{٣٨/٣٩/٤٠} وهو الميدان ذاته الذي ورد ذكره في الأحاديث. وعقب سقوط أنطاكية في يد الصليبيين، خرج جيش مسلم عظيم بقيادة القائد التركي كربوغا، أتابك الموصل، لمحاولة استعادتها. وقد تألف هذا الجيش من خيرة المقاتلين المسلمين المتمرسين في الحروب. ووفقًا للمؤرخ ابن الأثير، نزل هذا الجيش أولاً في دابق، ثم تقدم نحو أنطاكية.^{٤١} وتشير عبارة "جيش يخرج من المدينة" في الحديث إلى رمزية جيوش المسلمين عمومًا، إذ كانت المدينة المنورة مقر القيادة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها كانت تنطلق الجيوش.

وتتحدث الرواية النبوية عن ثلاثة أقسام من المسلمين:

١. ثلث يفرّون من أرض المعركة: يذكر ابن الأثير أن معظم الجيش الإسلامي فرّ خلال المعركة، ولم يبق إلا فصيل صغير فقط.^{٤٢} وهؤلاء هم الذين لن يغفر لهم، كما ورد في الحديث.

٢. ثلث يقتلون في سبيل الله: بحسب ابن الأثير، فإن قلة من المجاهدين، من أهل البلاد المقدسة، ثبتوا في المعركة وقاتلوا طلبًا لرضا الله والشهادة، وقد قتل الآلاف منهم على يد الصليبيين.^{٤٣} وهؤلاء هم الذين وصفهم الحديث بـ"أفضل الشهداء".

٣. ثلث لا يبتلون أبدًا: أي أولئك المسلمين من الأتراك الذين لم يشاركوا في الحملات الصليبية التسع الأولى (١٠٩٦ - ١٢٧٢م)، والتي كانت تهدف إلى الاستيلاء على المقدسات المسيحية. وتمثل هذه التقسيمات صورة حية للهزيمة التي مني بها المسلمون في معركة أنطاكية. وكانت لهذه المعركة آثار بعيدة المدى، إذ كانت جيوش المسلمين حينها أكثر عددًا وأفضل تجهيزًا من جيوش الصليبيين. إلا أن هذه الهزيمة غير المتوقعة منحت الصليبيين دفعة معنوية كبيرة، دفعتهم لاحقًا في عام ١٠٩٩م إلى مهاجمة القدس، وتمكنوا في النهاية من انتزاعها من الفاطميين.

فتح المسلمين للقسطنطينية (١٤٥٣م)

في الحديث الشريف،^{٤٤} ورد ذكر فئة من المسلمين الذين لم يُبتلوا أبدًا، وأنهم

سينتصرون ويفتحون القسطنطينية. ويمثل هؤلاء الأتراك المسلمين الذين لم يشاركوا في الحملات الصليبية التسع الأولى (١٠٩٦-١٢٧٢م)، والتي خيضت في الأساس من أجل السيطرة على المقدسات المسيحية. وقد تمكن هذا الفريق من إسقاط الإمبراطورية الرومانية الشرقية بفتحهم للقسطنطينية عام ١٤٥٣م تحت راية الدولة العثمانية.

تعليق السيوف وظهور الدجال - استسلام الدولة العثمانية (١٩١٨م) وقيام الاتحاد السوفيتي (١٩٢٢م)

في الحديث الشريف،^٦ جاء أن المسلمين سيعلّقون سيوفهم على أشجار الزيتون بينما هم يقتسمون الغنائم، فينادي الشيطان: "المسيح قد دخل دياركم!"، فينطلق المسلمون مسرعين، لكنه يكون كذبًا. ثم ما إن يصلوا إلى الشام ويتهيؤوا للقتال، حتى يظهر الدجال. والمقصود بـ"تعليق السيوف" هو استسلام الدولة العثمانية بموجب معاهدة مودروس عام ١٩١٨م، بينما ترمز "قسمة الغنائم" إلى تقاسم القوى المنتصرة — بريطانيا، فرنسا، إيطاليا، واليونان — لأراضي الدولة العثمانية وثوراتها. في هذه الأثناء، برزت الشيوعية كقوة عالمية صاعدة، واستولى الشيوعيون عام ١٩٢٠م على أذربيجان، أرمينيا، وعدة مناطق عثمانية سابقة. وهذا ما يشير إليه الحديث بصورة رمزية ببدء الشيطان: "المسيح قد دخل دياركم!"، وهو في الحقيقة تجسيد للدعاية الشيوعية التي قدّمت الدولة الشيوعية على أنها المخلص، القادر على تحرير الشعوب من الاستغلال الرأسمالي والإقطاعي، وبناء مجتمع اشتراكي قائم على المساواة. وكانت بلاد الشام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم تحت الحكم المسيحي، لذا فإن توجه المسلمين نحو الشام يحمل دلالة رمزية على ما حدث عام ١٩٢٠م في معاهدة سيفر، حين استولت القوى الأوروبية المسيحية رسميًا على أراضي الدولة العثمانية. أما "اصطفاف المسلمين" الوارد في الحديث، فهو يرمز إلى التشكيل السياسي الجديد في تركيا، حين أعلنت الجمعية الوطنية الكبرى في نوفمبر ١٩٢٢م نهاية السلطنة العثمانية، وفي الشهر التالي، ديسمبر ١٩٢٢م، أعلن رسميًا عن قيام الاتحاد السوفيتي، وهو الوقت الذي تحدّث فيه

الروايات عن ظهور الدجال.

(يتبع ...)

الهوامش:

٣٤) Daniel 7:4: <https://www.bible.com/bible/111/dan.7.4.NIV>

٣٥) Sahih Muslim 2899a: <https://sunnah.com/muslim:2899a>

٣٦) أكرم، أ.آي، سيف الله: السيرة الذاتية لخالد بن الوليد

٣٧) Sahih Muslim 2897: <https://sunnah.com/muslim:2897>

٣٨) <https://www.britannica.com/place/Amuq>

٣٩) https://en.wikipedia.org/wiki/Amik_Valley

٤٠) ياقوت الحموي (توفي ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) في كتابه "معجم البلدان"، في مادة "العمق" أو "العميق". اسم يطلق على مواضع متعددة، من أقدمها موضع يقع قرب أنطاكية.

٤١) توماس آسبريدج، "الحملة الصليبية الأولى: تاريخ جديد" (٢٠٠٤م) - يشير إلى أنه بحلول ١٠ أكتوبر ١٠٩٧م، كان الجيش الصليبي قد وصل إلى مرعش، الواقعة على طرف العماق... [وهو] الطريق المؤدي إلى أنطاكية، ثم انحدروا بعد ذلك إلى منطقة العماق.

٤٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، المكتبة الشاملة

٤٣) نفس المرجع

٤٤) نفس المرجع

٤٥) Sahih Muslim 2897: <https://sunnah.com/muslim:2897>

٤٦) Sahih Muslim 2897: <https://sunnah.com/muslim:2897>



المختارات



الكاتب: إمام المحدث شهير أحمد أزهر الميرثي
عرض وتقديم: د. محمد غطريف شهباز الندوي

تحقيق الحديث المسلسل بتحريك الشفتين

(الحلقة الثانية والأخيرة)

(مقطعتف من شرحه الحافل للجامع الصحيح البخاري تحفة

القاري بشرح صحيح البخاري)

[المختارات هو قسم مخصص لاختيارات من كتابات المؤلفين القدماء والجدد، وهدفه تقديم الفكر والنظر للماضي والحاضر أمام القراء والدارسين. ويتم فيها اقتباس مقاطع من تصانيف ممثلة لعلماء الماضي والتي تسلط الضوء على أفكارهم وأساليبهم، وكذلك تُضاف كتابات المؤلفين الجدد الفعالة والموثوقة. وليس بالضرورة أن يتفق مدير التحرير والمؤسسة مع محتويات هذا القسم. الإدارة]

وإن حملنا هذه الروايات على المعنى الذي رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس لزم انفكاك النظم ولم يبق لها ربط بما قبلها وما بعدها، ولزم أن يعود الضمير إلى مرجع لم يجزله ذكر قبل. وذلك لأن الله تعالى افتتح هذه السورة -سورة القيامة- وظن المكذوب به الكافر أن ذلك اليوم لن يأتي أبداً، ولن يبعثه الله حياً بعد موته ولن يجمع عظامه بعد رميتها وانتشارها. فقال: لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة، أي حسب الإنسان أن لن نجمع عظامه" فرد على المكذب ودفع استبعاده فقال: بلى قادرين على أن نسوي بنانه" ثم إن الكافر المكذب بيوم الدين

إنما يريد بتكذيبه أن يتمادى في طغيانه وعدوانه ويلج في فجوره وعصيانته ظناً منه أنه لا يُسئل عما يفعل فقال: بل يريد الإنسان ليفجر أمامه يسئل أيان يوم القيامة" ثم ذكر بعض أحوال يوم الآخرة وأهواله وبرهن على ضرورة وقوعه فقال: فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الإنسان يوم أين المفر كلا، لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر يُنبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخبرل الإنسان على نفسه معاذيره" ثم قال: لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه، ثم إن علينا بيانه". فإن قلنا في هذه الآيات الأربع: لا تحرك به الآيات، بما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وزعمنا أن الخطاب في قوله تعالى: لا تحرك به لسانك لتعجل به "للنبي صلى الله عليه وسلم والضمير المجرور - به - للقرآن انفك النظم لفظاً ومعناً لأن القرآن لا ذكر له في ما قبلها فكيف يسوغ عود الضمير إليه؟ فإن قلت قد عاد الضمير إلى القرآن في قوله تعالى: إنا أنزلناه في ليلة القدر وقوله "وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً" وصرفنا فيه من الوعيد (طه) قلت ذكر الإنزال قرينة تهدي القارئ والسامع إلى الجزم بأن الضمير عائد إلى القرآن في قوله تعالى في كلا المقامين، ولا قرينة في هذه الآيات من سورة القيامة، والذي لا يعلم حديث ابن عباس هذا إذا قرأ أو سمع هذه الآيات لن يفهم أبداً أن الضمير عائد فيها وراجع إلى القرآن.

والحق أن حديث سعيد بن جبير هذا قد أضل المفسرين عن فهم هذه الآيات وأبعدهم عن درك معناها. فإنهم فسروها بهذا الحديث. والحمد لله الذي أرشدني إلى التأويل الصحيح الذي يدل على صحته سياق هذه الآيات وسباقها، وهو أن الخطاب في قوله تعالى: لا تحرك به "للإنسان الكافر المكذب بيوم القيامة القائل "أيان يوم القيامة" "أيان مرساها" الذي إذا قيل له "يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم" قال متى هذا الوعد إن كنتم صادقين، الذي سخر من عذاب الله إذا أنذربه فقال: أَللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ - وهذا الخطاب بطريق الالتفات من الغيبة إلى الحضور فقد جرى ذكر الإنسان المكذب، فقال الله تعالى مخاطباً إياه أيها الإنسان المستبعد ليوم القيامة يوم تُجزى بأعمالك وتعاقب على ما قدمت وأخرت المجترئ على الله باستعجال يوم القيامة أسكُت ولا تحرك باستعجاله لسانك فإنه

آتٍ على موعده وحده لا محالة، فإذا اتاك ذلك اليوم العظيم لميعاده قرأنا عليك ما جمعنا وأحصينا من ذنوبك في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. وهذا الجمع والقراءة التزمناهما شأن الحاكم يحكم على المجرم فيقره عليه سجل جرائمه. فإذا قرأناه عليك لم يكن لك إلا اتباعه لا محيد لك عنه ولا مناص. وقد كنت تحيد في الدنيا عن اتباع كتاب الله. ثم اعلم أننا مبينون جزاءك كما وكيفاً فتجزى حسب بياننا لا يقدر أحد أن ينقص منه أو يزيد فيه. والكافر الذي يكذب بيوم الدين لا يكذبه لأنه أمر خارج عن الإمكان عنده ويستبعد عقله وقوعه. كلا إن العقل لا يأبى عن الاعتقاد به، ولكن لما كانت هذه العقيدة تنكر على الإنسان إقباله بالكلية على المنافع واللذائذ العاجلة الحاصلة في الدنيا وتحمله على الإقبال على الآخرة والسعي لها، بترك المعاصي والذنوب والكفر لحسته وقصور نظره لا يريد أن ينزع يده عما زينته له نفسه من لذائذ العاجلة. فمن أجل ذلك يتجاسر على التكذيب بالآخرة، وهذا معنى قوله خطاباً بالمكذبين: كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة. فالخطاب في قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به "متوجه إلى الإنسان الكافر المكذب كما توجه الخطاب إليه بعد آيات في قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْ لَكَ فَأُولَى ثُمَّ أَوَلَى لَكَ فَأُولَى﴾ -

فبهذا التفسير تلتئم هذه الآيات بما قبلها وما بعدها بدون تكلف وتعسف، والله هو الموفق للصواب، وأقضي العجب مما ذكره أبو عوانة في حديثه من تحريك سعيد شفتيه وتحريك ابن عباس شفتيه حكايةً لتحريك النبي صلى الله عليه وسلم شفتيه. قال موسى بن أبي عائشة إن سعيد بن جبيرة قال لي أنا أحرك لك شفتي كما حرك لي ابن عباس شفتيه وإن ابن عباس قال لسعيد أنا أحرك لك شفتي كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرك شفتيه في أوائل الوحي - وهذا كذب محض، فمتى رأى ابن عباس رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرك شفتيه ليتلقى الوحي يقرء كلمةً كلمةً مع جبريل؟ إنه لم يكن ولد إذ نزلت سورة القيامة وكان ابن ثلاث إذ هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأول ما رأى ابن عباس رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة السابعة إذ قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة لعمره القضاء وقد بلغ من عمره عشر سنين. فكيف ساغ لابن عباس أن يحكي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

مالم يره ويقول رأيته يفعلها؟ كلا. ما كان ابن عباس ليجتري على هذا الكذب وإنما هو من تزوير موسى بن أبي عائشة فهذا الحديث مفترى على ابن عباس من أوله إلى آخره، وإن أخرجه البخاري ومسلم وإن سماه المحدثون الحديث المسلسل بتحريك الشفتين.

(التنبية) وقد أخطأ المفسرون إذ فسروا قول الله عزوجل في سورة طه "ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيه وقل رب زدني علماً" بحديث سعيد بن جبير عن ابن عباس هذا. ووجه الخطأ أنهم زعموا أن وحيه نائب الفاعل لقوله يُقضى، والصواب في تفسيره أن كفار مكة طعنوا في تنزيل القرآن نجماً نجماً وقالوا: لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة (الفرقان: ٣٢) فقال الله تعالى مخاطباً لنبيه صلى الله عليه وسلم "فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى" يعني أن الله تعالى هو الملك الحق فيصدر لرعيته تعاليم وهدايات حسبما تقتضي المصالح، تعليماً بعد تعليم وهدى إثر هدى وإنه قدر لتكميل نزول القرآن أجلاً، فدع الطاعنين ولا تصغ إلى قولهم ولا تتم أن ينزل عليك القرآن جملة واحدة كما يقولون حتى يتم الله نعمته هذه بالتدريج ويكمل نزوله -وانت خاتم النبيين، لا يتشرف بوحى القرآن أحد سواك. إليك وحيه لا إلى غيرك، وادع ربك أن يزيدك علماً- فالضمير مستتر في قوله يُقضى راجع إلى القرآن، ثم إليك وحيه جملة مستأنفة، إليك خبر مقدم ووحيه مبتدأ مؤخر -قد بينت ذلك بياناً شافياً في تفسيري مفتاح القرآن (باللغة الأردنية المجلد الثالث ص ٦١٣ الطبعة الأولى صدرت من مؤسسة الدراسات الإسلامية بنينو دلهي) وأقمت دلائل قاطعة على بطلان من فسره بما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس، والحمد لله على ما انعم وعلم وهو المرشد الملهم للصواب.



في باب التذكير



بقلم: الأستاذ طالب محسن

ترجمة من الأردية: الأستاذ عثمان فاروق

الذكر الدائم

لقد أثنى الله تعالى في كتابه الكريم على عباده المؤمنين والمؤمنات بصفة عظيمة، هي كثرة ذكره، فجعل "الذاكرين الله كثيرا والذاكرات" في مصاف من أعد لهم مغفرة وأجرا عظيما، فقال عز من قائل:

﴿وَالَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذِّكْرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

(الأحزاب: ٣٥)

وقد ورد هذا الوصف في ختام سلسلة من الصفات التي تجسد كمال العبودية في مختلف الأحوال. والذكر الكثير لم يأت في القرآن فقط كصفة للمتقين، بل جاء الأمر به صريحا في مواضع متعددة، منها قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً

وَأَصِيلًا﴾ (الأحزاب: ٤١ - ٤٢)

ولندرك منزلة الذكر وأهميته في حياة المؤمن، يكفي أن نرى كيف خاطب به النبيان موسى وهارون عليهما السلام في مهمة الرسالة، حيث قال الله تعالى لهما:

﴿اذهَبْ أَنْتَ وَأُخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ (طه: ٤٢)

وهذه التوصية نفسها تتكرر مع نبي الله زكريا حين طلب آية، فجاءه الجواب

الإلهي:

﴿أَيُّكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا، وَادَّكَّرَ رَبَّكَ كَثِيرًا، وَسَبِّحَ

بِالْعُشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (آل عمران: ٤١)

وهكذا يتبين أن الذكر ليس مجرد عبادة لفظية، بل هو حياة القلب ونور الروح، وهو الصلة الدائمة بين العبد وربّه، لا تنقطع صباحا ولا مساء، بل تبقى متصلة على امتداد الوقت والزمان.

ما هو الذكر؟

لقد عرض القرآن الكريم معنى الذكر بأساليب متعددة، وبين أحواله الظاهرة والباطنة. فعندما يوقن الإنسان بأن له خالقًا ومالكًا واحدًا، يتولى أمره، ويدبر شأنه، وسيعيده يومًا ما ليحاسبه على أعماله، يقع في نفسه انقلاب جذري. تصبح غايته الكبرى هي نيل رضا ربه، ويطلب عونه بقلب ممتلئ بخشية الله. يتوكل عليه بثقة نابعة من إيمانه بقدرته وقوته وعظمته. يجتنب المعاصي حرصًا على رحمته، ويسارع إلى الطاعات رجاءً في ثوابه. تتحول التوبة والإنابة، والخشوع والخضوع، والذكر والتفكير، والتفويض والتوكل، والرضا والتسليم، إلى صفات ظاهرة وباطنة في كيانه. وأعظم ما يعبر عن هذا الحال هو ذكر الله، ذكر الإله الحكيم القدير، كما قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

(آل عمران: ١٩١)

وحين يقع أولئك العباد في المعصية نتيجة غفلة أو اندفاع عاطفي، فإنهم ما إن يتذكروا الله حتى يسارعوا إلى الاستغفار وطلب المغفرة، ولا يُصرون على الذنب، لأنهم يعلمون أنه لا يغفر الذنوب إلا الله:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

(آل عمران: ١٣٥)

فالمؤمن بما أنه يعيش في ظل عبودية الله، قد يخطئ، لكنه لا يتمادى، ولا يكون فاسقًا أو فاجرًا. ذكر الله يوقظه، ويبعث في نفسه الندم، فيسارع إلى التوبة، لأنه يدرك أنه لا ملجأ من الله إلا إليه. وهذه الآية تصور حالًا من أحوال

الذكر وبركته في حياة المؤمن. وعندما يذكر الله أمام المؤمن، ترتجف قلوبهم من خشيته، كما وصفهم الله تعالى:

﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُتَّقِينَ الصَّلَاةَ

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (الحج: ٣٥)

توضح هذه الإشارات القرآنية أن المؤمن يعيش دائماً في حالة وعي وبقظة قلبية تربطه بالله تعالى. فعندما يكون قلبه ممتلئاً بذكر الله، تظل لسانه رطباً بكلمات الحمد والتسبيح. فإن أصابته نعمة، انطلقت من فمه كلمات الشكر. وإن نزلت به شدة أو ضيق، لجأ إلى الله طالباً النجاة، وبدأ في محاسبة نفسه، راجياً أن يتدارك غفلته وتقصيره، ويجتهد في الطاعات لعل رحمة الله تحفه وتدركه. وإذا أراد أمراً، قال "إن شاء الله"، معترفاً بأن إرادة الله هي العليا على كل إرادة. وإذا رأى أحداً في نعمة، قال "ما شاء الله"، مقراً بقلب راض بأن ما شاءه الله قد كان. وإذا بدأ عملاً، افتتحه باسم الله، راجياً أن يصاحبه فضله وتوفيقه. وإن ساوره خوف أو وسوسة، استعاذ بالله، ولجأ إلى حمائه. يركب مركباً، أو ينام على فراشه، أو يستقبل صباحاً، أو يقبل على مساء، أو يدخل بيتاً، أو يخرج منه، أو يشتري ويبيع، في كل هذه الحالات، تلهج لسانه بكلمات الحمد والتسبيح، والدعاء والمناجاة، والإيمان واليقين، والاستمداد والاستعانة. والأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ تجسد هذا المعنى، فهي لوحات روحانية مفعمة بمعاني معرفة الله، وشعور العبد بضعفه وحاجته إليه، وطاقته وتسليمه لأمره. وإنما تكمن قيمة هذه الأدعية في كونها صورة نقية من صور الذكر الدائم، والتفويض الكامل، والتوكل الصادق على الله عز وجل. فما بيّنه القرآن عن كون عباد الله من الذاكرين والذاكرات، جاءت هذه السطور شرحاً وتوضيحاً لذلك المقام الرفيع، حتى يتبين للقارئ ما هو المقصود الحقيقي من أن تجري كلمات الذكر والتسبيح على الألسنة، وما تعنيه في جوهرها وعمقها.





بقلم: الشيخ محمد ذكوان الندوي
ترجمة من الأردية: الأستاذ عثمان فاروق

ظاهرة كارثية في زمن الانحطاط

كتب العلامة شبلي النعماني في كتابه الفاروق (طبعة ١٨٩٨م):
"في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كانت المعيشة زهيدة والنقد عالي القيمة، ومع ذلك كانت الرواتب بحسب المراتب مرتفعة نسبياً. فقد بلغت رواتب الولاة خمسة آلاف، وكان ما يحصل من الغنائم أمراً منفصلاً. فعلى سبيل المثال، كان راتب أمير معاوية ألف دينار شهرياً، أي ما يعادل خمسة آلاف روبية." (ص: ٢٦٤)
ويضيف:

"لقد رفع الخليفة عمر رضي الله عنه رواتب عمال الدولة بكرم ملحوظ مقارنة بالمعايير السائدة آنذاك، وكان الهدف من هذا الترفيع تثبيتهم على الأمانة والاستقامة." (ص: ٢٦٤، ١٠٨-١١٠، عن الاستيعاب لابن عبد البر)
هذه صورة مشرقة من عصر ازدهار الإسلام. أما في زمن الانحطاط، فحال معظم المؤسسات الإسلامية مؤلم؛ إذ نراها - عن وعي أو غفلة - تبقي العاملين المخلصين لها في حالة عوز دائم، تحت غطاء مقدس من شعارات مثل: خدمة الدين، والرسالة الإلهية، والنضال من أجل الأمة، بحيث يحال دون أن يقف هؤلاء الأفراد على أقدامهم، أو يؤمنوا مستقبلهم ومستقبل أسرهم، أو يجدوا وقتاً وطاقة لبناء حياة حرة وكريمة. غالبية هذه المؤسسات واقعة في واحدة من أبشع صور الغش والخداع التي وصفها القرآن الكريم بـ"التطيف" (سورة المطففين: ٨٣)

أي أخذ الحقوق كاملة عند الطلب، وإعطائها منقوصة عند الأداء؛ كأن تستنزف طاقات العامل ووقته دون تعويض عادل، أو تُزاد عليه المهام دون مقابل، مع التغطية على ذلك بخطاب ديني أجوف.

ومن صور هذا التطفيف الجسيم، استغلال العاملين بحجج دينية ورسالية، ثم حين يأتي وقت الإنصاف، يواجهون بسياسات داخلية جامدة، ومبررات دينية أو قانونية، دون أي مرونة أو تسامح أو اعتبار لأبسط القيم الإنسانية. من صور الظلم المقتنع في بعض المؤسسات أن يكون وقت عمل الموظف محدداً، مثلاً من الساعة السادسة صباحاً حتى السادسة مساءً، ثم يطلب منه مراراً البقاء بعد انتهاء الدوام دون أي تعويض، بحجة الالتزام بالنظام أو العمل من أجل الدين والمشروع الإلهي. لكن إن تأخر هذا الموظف في اليوم التالي نتيجة إرهاقه، يواجه بالخصم والعقوبة، وترفع في وجهه الشعارات ذاتها التي استخدمت سابقاً لتكليفه بالمزيد من العمل.

هذا السلوك يخالف العقل والفطرة، ويتنافى مع مبادئ الدين والإنسانية، بل هو نقيض لأبسط قيم المهنية المعاصرة. فالمؤسسات التي تمارس هذا النوع من الاستغلال، والعقليات التي تبرره، لا يمكن لها أن تنجح أو تحقق أي بركة أو أثر نافع.

في حوار دار مع أحد المتدينين ذوي النزعة "الرسالية" حول هذه الممارسات، قال: "هذا غير دقيق، فالمؤسسة قدّمت لهذا الموظف الفقير كوخاً صغيراً للسكن، وتكفلت بعلاجه عندما أصيب في حادث، فكيف يقال إنها تستغله؟" لكن السؤال الجوهرى هو هل تكفي هذه الإعانات المؤقتة والناقصة لسد حاجات الإنسان؟ وهل تقتصر مسؤولية من يملك المال والسلطة على منحه كوخاً أو علاجه عند الضرورة، دون ضمان حياة كريمة له ولأسرته؟ أليس من الواجب الإنساني والأخلاقي أن يمنح هذا الإنسان حقه الكامل في العيش الكريم، لا أن يربط بالجميل ليستغل لاحقاً؟

وإذا كان صاحب المؤسسة متديناً وثرياً، فإن أقل ما ينتظر منه هو أن يكون عطاءه خالصاً لله، لا وسيلة للسيطرة والهيمنة. فالدين لا يعتبر العمل مقبولاً إلا إذا كان بنية طلب الأجر من الله، لا وسيلة لاستعباد الناس واستنزاف طاقتهم.

أما الأعمال التي تقدّم بنّية المنّ والتفصّل والتحكّم، فهي ليست إلا "تجارة" خاسرة، كما وصفها القرآن الكريم (البقرة: ١٦).

إنّ الإنسان قد يخدمك بإخلاص ومحبة، بدافع الوفاء أو الحياء أو حسن الظن، لكن أن تحوّل هذا الإخلاص إلى فخر دائم لا يتزاه واستغلاله، فهذا لا يعدّ من الدين ولا من المروءة. وهذه الحيل الماكرة وإن بدت ذكية، فلن تثمر خيراً، لا في حياة الأفراد ولا في مستقبل الجماعات. في إحدى مدن ولاية "أتر برديش" بالهند، أخبرني رجل متديّن ذو مكانة اجتماعية أنه يعاني في هذه الأيام من مرض عضال، ويضطر شهريّاً إلى شراء حقنة علاجية بقيمة خمسين ألف روبية. ومع ذلك، فإن أحد عمّاله الفقراء، الذي يلازمه ليلاً ونهاراً، ما زال بلا مأوى. ولو أنه هيأ له مسكناً خالصاً لوجه الله تعالى، لربما نال معونة خاصة من الله، ووقاه من هذه المحنة الثقيلة التي أصابته.

وفي حادثة مشابهة بولاية "كرناتك"، قام رجل متدين وميسور الحال بتنظيم حفل زواج لابنه وابنته في وقت واحد ليعفي نفسه من أعباء الزواج دفعة واحدة. وخلال هذه الفترة، احتاج أحد عمّاله الفقراء إلى مبلغ بسيط لعلاج، فقدم له المال على شكل قرض، مع شرط أن يخصم من راتبه الشهري القليل شيئاً فشيئاً. ولو أنه تكرّم عليه بذلك المبلغ صدقةً لله، لكان حريّاً أن تحلّ عليه رحمة الله ويعان في أمره، لكن ما حدث هو أن برنامجه كله انهار في اللحظة الأخيرة، ودخل في دوامة من التوتر والألم النفسي.

وفي واقعة أخرى تتعلق بمؤسسة دينية، تم حجز مبلغ ثلاثة آلاف روبية ظلماً من أرملة تعمل لديهم. ولم تمض فترة حتى اضطر القائمون على المؤسسة إلى إنفاق ثلاثة ملايين روبية في قضية قانونية.

إنّ الصدقات الصغيرة، إن كانت نابعة من الإخلاص، تحفظ الإنسان من الابتلاءات العظيمة، ولكن حين يغفل الإنسان عنها، فهو بذلك يلقي بنفسه في شراك المصائب والهلاك. ومثل هذه الحوادث تتكرر كثيراً في واقعنا. ومن ذلك ما وقع لرجل ثري، متدين، وناشط ديني، حيث قام ببناء غرفة صغيرة لسكن امرأة فقيرة، ثم جعلها تعمل في بيته بلا مقابل، ربما لأنه ظن أنه قد "أدى حقها" ببناء الغرفة، فلم يبق له إلا أن يسترد منها "حقه" في الخدمة. وإنّ الحقيقة الكاملة

لمثل هذه الوقائع لا يعلمها إلا الله رب العالمين، غير أنّ في هذه الدنيا قانوناً ربانياً لا يتغير ولا يتبدل، وهو قانون "جزاء الأعمال"، الذي لا ينجم منه أحد. لذا ينبغي لكل شخص، مهما علا شأنه أو صغر، أن يكون في غاية الحذر والانتباه في هذا الباب. وقد عبّرت عنه الحكماء بقولهم: "كما تزرع، تحصد"

What goes around, comes around أو Whatever you sow, you shall reap

وقال شاعر فارسي:

از مكافات عمل غافل مشو گندم از گندم بروید، جو ز جو
ترجمة: "لا تغفل عن جزاء الأعمال؛ فمن زرع قمحاً، حصد قمحاً، ومن زرع
شعيراً، حصد شعيراً".
وقال شاعر أردني:

ازل سے ہے مکافاتِ عمل کا سلسلہ قائم زلایا جس نے اوروں کو، کبھی وہ خود بھی روئے گا
ترجمة: "منذ الأزل وسنّة الجزاء جارية، من أبكى غيره، سيكي يوماً بلا شك!"
مثل هذه الوقائع التي تمّ ذكرها، أعرفها شخصياً معرفة مباشرة، وهي كلّها من
صور مكافأة الأعمال. يا لغرابة أولئك الذين، رغم ما لديهم من مال وجاه، يتعاملون
مع الآخرين بهذا القدر من السطحية والقسوة! إنهم أناس لا يمكن أن يكونوا
مستحقين لرحمة الله. فأمثال هؤلاء من القساة، سواء كانوا أفراداً أو مؤسسات،
سيظلون، رغم كل دعاواهم العريضة، وبرامجهم اللامعة، محرومين دائماً من
البركة الحقيقية.

نواح على آلام الأمة، وشعائر دينية مهيبة، وكثرة الحركة والنشاط، والفعاليات
المستمرة حضوراً وافتراسياً، والندوات والخطب، وضجيج اللقاءات والمؤتمرات،
والشهرة الواسعة على وسائل التواصل الاجتماعي، والعائدات المالية الضخمة،
والمشاريع الدعوية والدينية، وصخب الكلمات، وسحر الكتابات، ومكاتب الكتب،
وأكوام المجلات والنشرات الدينية، وسيل لا ينقطع من الأدبيات؛ كل ذلك لن
يكون كافياً لحمايتهم من غضب الله أو خلاصهم من عقابه. وهذه هي الحالة
الخطيرة التي أشار إليها النبي ﷺ حين قال:

"وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم" (صحيح ابن حبان، رقم ٢٥٧)

أي إنّ الإنسان، من دون الوفاء بالمتطلبات الحقيقية للإيمان والأخلاق، لا

يعدّ عند الله مؤمناً صادقاً، حتى لو تمسك بالمظاهر الدينية الخالصة، وادّعى الانتماء إلى الإسلام. فمثل هذه الازدواجية في الممارسات، وهذه الأعمال الخالية من الروح، لا تعتبر عند الله من الأعمال الصالحة التي تقتضي الرضا والرحمة والنصرة الإلهية. وقد جاءت كلمتا الصوم والصلاة في هذا الحديث بصفتهما رمزين، يشملان سائر الشعائر والممارسات الدينية، التي تؤدّى في الظاهر باسم الدين. فإذا كانت هذه الأعمال خاوية من روح الإيمان، وفارغة من معاني الأخلاق، فإن صخبها وضجيجها لن يجعل منها أعمالاً مرضية عند الله، مهما بدت جذابة. أما إذا أنجزت هذه الأعمال بروح إيمانية صادقة، ومصحوبة بمبادئ الأخلاق وحقوق العباد، فهي حينئذ تصبح من أعظم ما يقرب العبد إلى ربه، ويصونه من سخطه؛ كما في الحديث:

"الصدقة تطفئ غضب الرب" (سنن الترمذي، رقم ٦٦٤)

وهي من الأعمال المؤكدة التي تقي الإنسان من خاتمة السوء، كما في الحديث:

"عليكم بصنع المعروف، فإنه يمنع مصارع السوء"

(صحيح الجامع، رقم ٤٠٥٢).

من خلال الأمثلة السابقة، يمكننا أن ندرك ما المقصود بـ العقلية المنهارة، وكيف أصبحت عائقاً كبيراً أمام رفاهنا الفردي والجماعي. إن المصائب والابتلاءات لا تصيب الإنسان عبثاً، بل تأتي لتوقظه من غفلته، لا ليجزع منها جزعاً مجبراً، بل ليقف عندها متأملاً، فيراجع نفسه، ويتوب إلى الله توبة صادقة، ويحاسب ذاته على ما مضى من تقصير، كما تشير الآيات:

﴿قُلُوا لَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ...﴾ (الأنعام: ٤٢) —
 (٤٤)، ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٦). لكن للأسف، فإن الإنسان يحجب كل سنن الغفلة والإعراض، ويغض الطرف عن هذه الآيات والعبر التي يرسلها الله، ويمضي دون أن يستفيد منها أو يراجع حياته على ضوءها.

أفلا يوجد من يتفكر؟ أفلا يوجد من يتعظ؟!

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: ٣٧).

تصحيح المفاهيم

بقلم: الأستاذ محمد فهد حارث
صاغة بالعربية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

سيدنا أبو سفيان بن حرب الأموي وقضية عدائه للإسلام: إعادة نظر تاريخية

[هذا البحث موجز وشامل وعميق يصحّح سردية تاريخية منتشرة حول الصحابي الجليل صهر النبي صلى الله عليه وسلم، سيدنا أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه وأسرته، ويبين بالأدلة النقلية والعقلية أن معارضته للدعوة الإسلامية في مراحلها الأولى لم تكن من منطلق عداء شخصي أو كراهية عمياء كما كان حال أبي جهل وأضرابه، وإنما كانت بوصفه زعيمًا لقريش يؤدي دورًا سياسيًا في إطار صراعات الزعامة التقليدية.]

نتيجة للجهل بعلم التاريخ ووجود انحياز ذهني معين، شاع بين جماهير المسلمين تصور خاطئ مفاده أن:

"أسرة أبي سفيان رضي الله عنه كانت من أشد أعداء النبي ﷺ ودعوته، وأنهم لم يسلموا إلا مكرهين يوم فتح مكة." ولذا نجد أن الكاتبين الكثيرين بالأردية وحتى المؤرخين منهم يستندون إلى شائعات حول هذه الأسرة كلها فيتهمون السيدة هند بـ"كاظمة كبد حمزة" عم النبي صلى الله عليه وسلم وأباسفيان من "الطلاق" مع أن هناك حديثا يصرح بأن الإسلام يهدم أو يجبّ ما كان قبله.

لكن الحقيقة أن هذا التصور لا أساس له، وقد نشأ لاحقًا في ظل الخلافات السياسية التي ظهرت بعد نحو خمسين عامًا من فتح مكة.

الدكتور محمد حميد الله قد ألقى في مارس ١٩٨٠ سلسلة محاضرات عن السيرة

النبوية في الجامعة الإسلامية ببهأؤلبور، جمعت وطبعت بصورة كتاب لاحقاً) وكان المحاضرة الثامنة بعنوان: "تبليغ الإسلام وحسن الخلق مع غير المسلمين". في هذه المحاضرة نقل الدكتور حميد الله حادثة من أوائل العهد المكي قائلاً:

"كان أهل مكة يدفعون الصبيان لمضايقه النبي ﷺ ورشقه بالحجارة، فإذا صادف أن كان النبي ﷺ قريباً من بيت أبي سفيان، دخل إليه، مع أن أبا سفيان لم يكن قد أسلم بعد، إلا أنه كان يظهر شهامة وإنسانية، فيقوم بطرد الصبية ويؤمّن النبي ﷺ، فيخرج مطمئناً إلى بيته."

ويذكر المقرئزي أنه عندما فُتحت مكة، كان المناادي ينادي في شوارعها: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن". ويضيف المقرئزي أن هذا الامتياز إنما كان مكافأةً على مواقف أبي سفيان السابقة التي كان فيها يحمي النبي ﷺ.

كما وردت أخبار بهذا المعنى أيضاً في "طبقات ابن سعد"، حيث تذكر أن أبا سفيان كان يحمي النبي ﷺ من أعدائه رغم أنه لم يكن مؤمناً بعد، وكان يُدخل النبي ﷺ إلى بيته ويوفر له الأمان.

وقد اختص النبي ﷺ بيت أبي سفيان يوم فتح مكة بالأمان قائلاً: "ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن"، لأنه كان دار أمان للنبي ﷺ في الجاهلية.

جدير بالتفكير أن أبناء الزعماء المشركين مثل عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، كلهم قاتلوا المسلمين في بدايات الدعوة، بل حتى طالب بن عبد مناف، أخو سيدنا علي رضي الله عنه، قيل إنه قتل في بدر وهو مع الكفار. وكذلك العباس بن عبد المطلب وأبو العاص بن الربيع كانا منالمقاتلين المشركين في بدر ثم أُسرا وأُطلق سراحهما بالفدية.

لكننا لا نجد أي رواية تُشير إلى أن معاوية أو يزيد، أبناء أبي سفيان، شاركوا في قتال المسلمين قبل إسلامهما، ولا نعلم أن أبا سفيان أو زوجته هند أجبرتهما على قتال المسلمين، كما فعل كثير من آباء قريش.

هذا يدل على أن موقف أبي سفيان من الإسلام لم يكن بدافع عداً شخصي، بل بصفته زعيماً لقريش بعد معركة بدر. فلو لم يُقتل زعماء قريش في بدر، لما تسلم القيادة، ولربما لم يظهر منه أي موقف معارض للإسلام. وكأته لو لم تُمنح السيادة لمكة بعد بدر لأبي سفيان لعلّ معارضته للإسلام لم تكن لتظهر بتلك

الحدة التي ظهرت بها لاحقاً بصفته زعيماً لمكة. فلو كان لأبي سفيان رضي الله عنه، بصفته الشخصية، كغيره من المشركين، عداوة ذاتية أو حقد خاص على الإسلام، لكان من المتوقع أن يدفع بولديه إلى الصفوف الأمامية في المعارك التي خاضها ضد المسلمين، كما فعل غيره من مشركي العرب، وفق ما كان متعارفاً عليه من تقاليد قبلية. وخاصة في غزوتي أحد والأحزاب، حيث كانت قيادة جيش المشركين بيده، ومع ذلك لم يُكره أبنائه على القتال ضد المسلمين، بل تركهم، بخلاف ما كان عليه عرف العرب في تلك الحروب. إنه لأمر يثير العجب، أن يأتي رجل بنفسه إلى ساحة القتال لمحاربة خصومه، ولكنه لا يُجبر أبنائه على خوض تلك المعارك، مخالفاً بذلك الأعراف القبلية السائدة آنذاك.

والإمام ابن تيمية يقول في "منهاج السنة النبوية" (ج ١، ص ٢١٤): "لم يُعرف عن معاوية قبل الإسلام أنه آذى النبي ﷺ لا بيده ولا بلسانه". وفي موضع آخر (ص ٢١٧): "ولا عُرف عنه ولا عن أخيه يزيد بن أبي سفيان أنهما آذيا النبي ﷺ كما فعل بعض المشركين".

وكما قال الاستاذ ميان محمد سعيد في كتابه "حياة النبي ﷺ" عن حصار النبي ﷺ وبني هاشم في شعب بني هاشم (شعب أبي طالب) ويذكر صهره سيدنا أبو العاص بن ربيعة رضي الله عنه، أنه في مثل هذا الوقت العصيب، قام صهر النبي ﷺ الكريم الشهيم أبو العاص بن ربيعة رضي الله عنه بأداء حق القرابة والنسب، فكان أبو العاص يحمل الإبل بالحبوب والتمر وغيرها، ويدفعها إلى شارع الشعب، وهكذا يصل الطعام إلى جميع المحاصرين فيه، بل وتروي كتب السيرة أن معاوية كان يساعد أبا العاص بن الربيع في إدخال الزاد سرّاً إلى النبي ﷺ والمحصورين في شعب بني هاشم. (انظر كتابه ص ٥٢)

وبالمثل، عندما علم سيدنا أبو سفيان (رضي الله عنه) بزواج ابنته أم المؤمنين أم حبيبة (رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها) من النبي (صلى الله عليه وسلم) - وقد تم حين كانت قد هاجرت إلى حبشة مع زوجها عبد الله بن جحش، وقد تنصروا هناك، فزوَّجها النجاشي رضي الله عنه بالنبي صلى الله عليه وسلم بطلب منه ذلك، وأصدقها عنه أربعة آلاف درهم ثم جهزها وأرسلها إلى المدينة مع شرحبيل بن حسنة - عبّر أبو سفيان (رضي الله عنه) عن سعادته بدلاً من

الغضب وقال: "إن محمداً رجل شرف وكرامة. لا يقول مثل هذا الشيء من يكن كراهية للنبي (صلى الله عليه وسلم) وعداوة شخصية للإسلام. علماً بأن في غزوة بدر كان قد قتل فيها حنظلة بن أبي سفيان، الأخ الشقيق لأُم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها، والذي كان من بطن زوجة أبي سفيان صفية بنت أبي العاص بن أمية، على يد جيش المسلمين. وبعد هذه الحادثة عندما أراد أبو العاص بن الربيع رضي الله عنه أن يرسل زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة إلى النبي صلى الله عليه وسلم برفقة أخيه كنانة بن الربيع، عارضته قريش ووصل الأمر إلى حد سفك الدماء. حتى جاء أبو سفيان رضي الله عنه، كما ذكر ابن هشام في السيرة النبوية، الجزء الثاني، تحت عنوان "خروج زينب إلى المدينة"، صفحة ٢٩٦، ليوَسِّطَ بين كنانة بن الربيع وقريش، فخطب كنانة وقال له صراحةً: لقد علمت ما لقيناه من أبيها، فإن أخرجتها في وضح النهار أمام قريش، لعلَّ الناس حملوا ذلك على ضعفٍ منا، وكان ذلك سبباً لخزيتنا. ثم قال له أبو سفيان رضي الله عنه:

"ولعمري مالنا مجبسها عن ابنيها من حاجة، ومالنا في ذلك من ثورة ولكن ارجع بالمرأة حتى اذا هدأت الأصوات، وتحدث الناس أن قد رددناها، فسُلِّها سراً، وألحقها بابيها. قال: ففعل ذلك كنانة بن ربيعة. بل كتب ابن هشام قبل ذلك ببضعة أسطر أنه عندما كانت السيدة زينب، ابنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، تحزم مؤنتها لرحلة مغادرة مكة إلى المدينة، جاءت هند بنت عتبة، زوجة أبي سفيان وابنة عتبة بن ربيعة، للقاء السيدة زينب وقالت على حد قول السيدة زينب رضي الله عنهاها:

يا بنت محمد، ألم يبلغني إنك تريدين اللحق بابيك؟ قالت: ما أردت ذلك، فقالت: أي ابنة عمي، لا تفعلي، إن كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك أو بمال تتبلغين به إلى أبيك، فإن عندي حاجتك، فلا تضطني مني، فانه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال. قالت والله ما اراها قالت ذلك الا لتفعل.

ومفهومه أنها قالت لزينب رضي الله عنها لا تفعلي (أي لا تخفي عني الأمر). فإن كنت بحاجة إلى متاع أو زاد يعينك في سفرك، أو إلى مال يسهل عليك الوصول إلى والدك، فقول لي. فوالله، إنَّ عندي ما تحتاجينه، فلا تبخلي عليّ

بطلبك. شأن الرجال شيء، وشأن النساء شيء آخر.
وقالت السيِّدة زينب رضي الله عنها: فوالله، لقد أيقنْتُ أنَّ ما قالته هند، قالته بصدقٍ وإخلاص.

ثم لما خرجت ابنة رسول الله ﷺ، السيِّدة زينب، مهاجرة إلى المدينة المنورة، اعترض طريقها بعض رجال قريش. وكانت آنذاك حاملاً، فأسقطوها من على ناقتها بتصرّفهم العنيف، فسقط جنينها من شدة الأذى.

عندئذٍ، أسرعَت السيِّدة هند بنت عتبة رضي الله عنها وجاءت تركض، تصرخ في وجه أولئك القوم وتوجّهم قائلة: "أتقاتلون امرأة أعزل؟! أين كانت شجاعتكم يوم بدر؟!"

ثم احتضنت السيِّدة زينب، وجعلت تمسح عنها التراب وتنظف جسدها وتصلح حالها، بكل حنوٍّ وعطف.

ويُذكر هنا أنَّ حادثة هجرة السيِّدة زينب رضي الله عنها وقعت بعد غزوة بدر بفترة وجيزة، تلك الغزوة التي قُتل فيها والد السيِّدة هند، وعمّها، وأخوها على أيدي المسلمين.

ومع هذا، فإنَّ ما فعلته هند رضي الله عنها تجاه زينب، ابنة رسول الله ﷺ، يُظهر شهامةً عربيةً وأصالةً إنسانيةً عظيمة.

ومن المهم أن نُشير إلى أن سيِّدنا أبا سفيان بن حرب رضي الله عنه، زوج السيِّدة هند، كان جدّه عبد شمس أخاً شقيقاً لهاشم، جدّ النبي ﷺ. وكان الاثنان من أبناء عبد مناف بن قصي. ولهذا السبب، كان بنو عبد شمس وبنو هاشم يُعدّون فرعاً واحداً من بطون قريش، وكان بينهما تقارب في النسب.

وبسبب هذا القرب العائلي، كان عتبة بن ربيعة، والد السيِّدة هند، يُظهر ليونةً في موقفه تجاه النبي ﷺ، الأمر الذي كان يثير سخط أبي جهل بن هشام، فيعاتبه ويقول له: "أأنت تحامي عن محمد لأنكما من نسل رجلٍ واحد؟!" في إشارة إلى انحذارهما من عبد مناف.

عندما أتأمل في حياة سيِّدنا أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه بعد إسلامه، أشعر بإعجاب شديد، ويطمئن قلبي لحديث النبي ﷺ:

"خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا."

(رواه البخاري ومسلم)

وبعد إسلامه، خاض أبو سفيان غزوة الطائف مع النبي ﷺ، وهناك فقد عينه برمية سهم رجل من العدو وهو سعيد بن عبيد الثقفي. فجاء إلى النبي ﷺ وعينه بيده فقال له: "إن شئت دعوت لك فردت عليك، وإن شئت فالجنة"، فاختار الجنة، وقال: "الجنة"، وألقى عينه ومضى للقتال رغم كبر سنه (٧١ عاماً آنذاك).

فتأملوا يأسه، لو أن شيئاً من الفلفل دخل عين الإنسان في مجتمعنا اليوم، فكم سيتألم؟ وكيف يتمنى بكل شوق أن تزول هذه المعاناة في أسرع وقت ممكن! لكن هناك، في صحبة النبي ﷺ، كان حال القتال قد بلغ من الشدة والحماسة مبلغاً أن الألم نفسه أصبح زهيداً أمام نشوة الجهاد، حتى إن الإنسان -أبأسفيان في هذا المثال- مع قدرته على دفع الأذى، اختار بدلاً من ذلك أن يشتري الجنة بهذا الألم.

أما لو كنا نحن مكانه، لكننا سرعان ما بحثنا عن مخرج بالعقل والمنطق، وقلنا: "لا بأس، لنشفي أعيننا الآن، فالجنة على كل حال مضمونة ما دمنا في غزوة مع رسول الله ﷺ!"

وهل تعلم كم كان عمر سيدنا أبي سفيان رضي الله عنه في تلك اللحظة؟ لم يكن شاباً فتياً يسهل عليه تحمل هذه المعاناة، بل كان شيخاً في الحادية والسبعين من عمره، يُقاتل في سبيل الله بهذه الثبات، ويُضحي بإحدى عينيه من أجل الإسلام!

وفي معركة اليرموك عام ١٣ هـ، خرج أبو سفيان مع ابنه يزيد بن أبي سفيان لقتال الروم، رغم أنه كان في السادسة والسبعين من عمره. وتشير المصادر إلى أنه فقد عينه الثانية أيضاً في هذه المعركة.

وفي إحدى اللحظات الحاسمة في المعركة، سمع المسلمون صوتاً يصرخ: "يا نصر الله اقترب"، فإذا هو أبو سفيان بن حرب، يُقاتل تحت راية ابنه.

ومن شدة حنكته وإصابه رأيه أن الجنرالات الكبار من الصحابة، كخالد بن الوليد وعمر بن العاص (رضي الله عنهما) كانوا يستشيرونه في توزيع الجيش ووضع الخطط العسكرية. فعند هذه المعركة الكبرى قد استدعي سيدنا أبو

سفيان رضي الله عنه في مجلس الشورى لرجال الحرب المسلمين واستشير في شأن الحطة العسكرية لتقسيم الجيش. فاقترح، كما نقل ذلك العلامة ابن كثير في البداية والنهاية، في المجلد السابع ضمن سرد وقائع معركة اليرموك، أن يقسم الجيش المسلم إلى ثلاثة أقسام:

- القسم الأول: يقف في مواجهة مباشرة مع جيش الروم ويشتبك معهم في ساحة القتال.

- القسم الثاني: يُكلف بحماية أموال المسلمين وذرياتهم وممتلكاتهم.
- أما القسم الثالث: فيبقى تحت إشراف القائد الفذ سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه، ويتمركز خلف القسمين الأولين، يراقب سير المعركة عن كثب، ويتخذ موقعاً استراتيجياً تكون فيه خلفيته محاطة بالغابات أو الأراضي المكشوفة، ليضمن بذلك وصول الإمدادات والمؤن من الخلف، وتوفير الدعم اللوجستي الكامل للمقاتلين دون انقطاع.

وقد لقي هذا الرأي من سيدنا أبي سفيان رضي الله عنه ترحيباً بالغاً منهم، وأعجب به القادة إعجاباً شديداً، فتم تبنيه والعمل به في أرض المعركة.

ويقول الأزرقي في "أخبار مكة" الجزء الثاني الصفحة ١٢٠ أن مولد النبي صلى الله عليه وسلم، أي المكان الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم كان قد تم إلحاقه في منزل محمد بن يوسف الثقفي أخ أمير الحجاج بن يوسف. لأنه عندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم، قام عقيل بن أبي طالب الذي لم يكن قد أسلم بعد، بالاستيلاء على مولد النبي صلى الله عليه وسلم وعلى منازل الهاشميين الآخرين الذين هاجروا وباع ذلك المكان لمحمد بن يوسف الثقفي. وعندما سئل النبي صلى الله عليه وسلم في عام حجة الوداع: يا رسول الله، أين ستقيم في مكة؟ قال: "وهل ترك لنا عقيل مكاناً نأوي إليه؟". وهذا هو السبب في أنه في وقت فتح مكة، بدلاً من الإقامة في بيته دخل بيت أبي سفيان وأقام فيها". كما ذكر ذلك العلامة ابن حجر العسقلاني في الإصابة تحت ترجمة صخر بن حرب: "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى مكة، أقام في بيت أبي سفيان، لأن هذا هو البيت الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يلجأ إليه حتى عندما كان صبيان مكة يضايقونه بتحريض من المشركين، ذكر ذلك المقرئزي وأيضاً ابن سعد في

الطبقات.

الخلاصة: هذا كله يدل على أن أبا سفيان، رغم معارضته السياسية للإسلام في بعض المراحل، لم يكن يحمل حقاً شخصياً على النبي ﷺ، وكان من كبار رجالات قريش شرفاً ومروءة، وتحققت فيه مقولة النبي ﷺ: "خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام".



في السيرة



بقلم: الأستاذ محمد حسن إلياس

ترجمة من الأردية: الأستاذ عثمان فاروق

الشيخ السيّد أبو الأعلى المودودي:

مفكر صنع عصرًا

(الحلقة الأولى)

[تنشر هذه المقالات تحت عنوان "السير والسوانح للشخصيات"، وهي
تعكس آراء وتحقيقات مؤلفيها الكرام، المستندة إلى أبحاثهم
الخاصة، لذا، لا يلزم أن تتوافق المؤسسة مع جميع ما يرد فيها]

إن في هذا العالم من يخلقهم الله تعالى وفي كيانهم إشراقة بصيرة، وفي فكرهم
عمق تدبر، وفي بيانهم بريق المعاني، كأنها مغروسة فيهم منذ الأزل. ينحتون من
العلم روحًا جديدة، وبعثون فيه حياة نابضة، فيغدو رمزًا حيًا للوعي والمعرفة.
في فكرهم شوق الاكتشاف، وفي سعيهم إيقاع البحث، وفي طريقتهم قدرة على
خلق هوية جديدة تضفي على الماضي منظورًا فريدًا، وتوجه الفكر نحو التجديد،
وتنفخ في شرايين التقليد الساكنة نسمة يقظة متجددة.

ليس العلم عندهم كومة معلومات جامدة، ولا ميرًا راكدًا في الذاكرة، بل
هو وعي حي، يقظ، متحرك، يغوص في أعماق العقل الإنساني، ويحرك الأفكار
الجامدة، ويضيء طرق الفهم المعتمدة بنور الإدراك. فهم لا يكتفون بالتفكير، بل
يحيلون الفكر إلى تعبير خلاق، وحين يدخلون ضمن منظومة التراث العلمي، لا

يضيفون إليه فحسب، بل يعيدون تشكيله من جديد.

إن هذه العقول الفذة، النادرة، لا تتكرر كثيراً، بل تمضي قرون في انتظارها، فإذا ظهرت، غيرت مجرى التاريخ الفكري والروحي. وإذا اجتمعت هذه القمم من البصيرة الاجتهادية، والقدرة الإبداعية، في شخص واحد، لم يبق مجرد عالم، بل غدا محوراً لتشكيل مرحلة فكرية برمتها.

وفي تراث المسلمين العلمي، كان الشيخ السيد أبو الأعلى المودودي رحمه الله شخصية متعددة الأبعاد، اجتمعت فيها هذه السمات كلها، حتى بزغ نجمه في أفق القرن العشرين كمذهب فكري مستقل قائم بذاته. ولم تكن هذه المنزلة المرموقة نتاج عاطفة عابرة، ولا شهرة لحظية، بل كانت مكانة مبدئية، محددة المعالم، يمكن التحقق من عظمتها وفق المقاييس المعتمدة في تراث الفكر الإسلامي.

وفي هذا التراث، يقيم مقام المفكر وتأثيره العلمي من خلال أربعة معايير أساسية:

أولها ما يتعلق بأولئك العلماء الذين أسسوا للعلوم الإسلامية بوضع الأسس المعرفية التي لا غنى عنها لفهم الدين، وتأويله، والتواصل الفاعل مع نصوصه. وتشمل هذه العلوم أدوات اللسان والعقل مثل: النحو، والصرف، واللغة، وعلم المعاني، والبيان، والبديع، والمنطق. وهي علوم ذات طبيعة منهجية شاملة، لا تقتصر فائدتها على النصوص الدينية، بل تمتد إلى تحليل أي نوع من النصوص الفكرية أو الأدبية.

وقد تحولت هذه العلوم لاحقاً إلى أدوات تطبيقية تخدم مقاصد دينية محددة، مثل علم الجرح والتعديل، ومصطلح الحديث، وسائر الفنون التي وظفت نفس الأدوات في خدمة النصوص الشرعية. وبفضل هذه العلوم، تأسست بنية معرفية ولغوية مكنت من فهم النصوص، وصياغة مناهج التعليم، ونقل مصادر الدين وحفظها. أما العلماء الذين ساهموا في تأسيس هذه البنية، فهم المعماريون الحقيقيون لهذا الصرح العلمي المتين، ومنهم: الخليل بن أحمد، سيبويه، عبد القاهر الجرجاني، الخطيب البغدادي، الزمخشري، وابن حجر، وغيرهم من الأعلام الذين وضعوا أدوات التعبير، ووسائل الفهم، وأصول التحليل، وشكلوا لبنة الأساس للتراث العلمي الإسلامي.

الدائرة الثانية تضم أولئك العلماء الذين تخصصوا في نفس هذه العلوم الفنية واللغوية، ولكنهم لم يكتفوا بفهم النصوص، بل أسسوا من خلالها نظاماً متكاملًا، متماسكًا، وأصيلًا في شرح الدين، وتفسيره، والاستدلال عليه. لقد صاغ هؤلاء العلماء من علوم اللسان والعقل أطرًا معرفية تشكلت منها فنون كالفقه، والكلام، والتفسير، فغدت هذه الفنون تعبيرًا عن تفكير ديني مؤصل، قائم على مناهج واضحة ومنضبطة. وهكذا نشأ من خلاهم مذهبٌ علميٌ اجتهادي، منح الفكر الإسلامي قوة برهانية، واتساقًا منطقيًا، وتنظيمًا فقهيًا.

لقد كان لهذا التأسيس العميق دور محوري في بلورة الفكر الديني، وصياغته ضمن قواعد محددة، ومعايير منهجية تحكم تفسير النصوص، واستخراج الأحكام، وفهم العقائد. ومن أبرز رموز هذه الدائرة: الإمام الشافعي، الإمام أبو حنيفة، الإمام مالك، الإمام أحمد بن حنبل، الإمام الرازي، وغيرهم من الجهابذة الذين نقلوا الفكر من مجرد النقل والاقتباس إلى دائرة النسق والاستدلال والاجتهاد المنظم. بفضلهم تبلورت أصول الفقه، ونشأ علم الكلام كمنظومة دفاعية عن العقائد، وبرز علم التفسير كفنٍّ مستقل له أسسه واتجاهاته. وهكذا أصبحت هذه الدائرة رمزًا لترتيب الفكر الإسلامي الداخلي، وعمقه النظري، ورسوخه البرهاني. الدائرة الثالثة تشمل أولئك المفكرين الذين لم يكتفوا بتلقي التراث كمنظومة جاهزة من النظريات، بل غاصوا في أعماقه، وقرؤوه قراءة نقدية متأملة. لقد أعادوا النظر في هذا التراث من خلال معايير العقل والمعرفة، وحاولوا فهمه في ضوء الأسئلة الجديدة التي فرضها الزمن، وتحولاته الفكرية والاجتماعية.

كانت هذه العقول تملك من الجرأة والعمق ما جعلها لا تكتفي بجمال الظاهر وبريق العبارة، بل فتحت التراث على ذاته، وفتشت في بنيته، ومنطقه الداخلي، ومقدماته الفكرية. لقد سلطوا الضوء على جوانب من التراث وقعت فريسة الجمود، أو حملت تأويلات سطحية، أو تعارضت في بعض مواضعها مع مقاصد الوحي وروحه. وبفضل هذا التمحيص، خرج التراث من دائرة التقديس الجامد، وتحول إلى تجربة حية قابلة للنقد والتطوير. ومن أبرز ممثلي هذه الدائرة: ابن رشد، ابن خلدون، ابن القيم، محمد إقبال، ورشيد رضا، الذين أعادوا تقديم التراث في ثوب فكري جديد يتفاعل مع العقل المعاصر ويتجاوز مجرد التكرار.

أما الدائرة الرابعة والأخيرة، فهي خاصة بأولئك المجتهدين الذين جمعوا بين التأسيس، والنقد، والتفاعل مع التراث، ليقدموا من خلال ذلك كله تفسيراً شاملاً للدين، يربط الماضي بالحاضر، ويتوجه أيضاً إلى المستقبل. هؤلاء لم يقتصر جهدهم على التأليف أو التحليل، بل صاغوا من الدين نظاماً حياً، يمتد من المبادئ إلى التطبيق، ويعكس تجربة فكرية كاملة متكاملة.

لقد قدّم هؤلاء المفكرون تصوراً متكاملاً للإسلام، ليس بوصفه منظومة عبادات أو طقوساً روحية فقط، بل باعتباره نظام حياة شامل، له امتداداته في الفكر والأخلاق والحضارة. وقد مثّل هذه الدائرة أعلام كبار مثل: الإمام ابن تيمية، الإمام الغزالي، شاه ولي الله الدهلوي، والشيخ أمين الأحسن الإصلاحي، الذين جسّدوا في فكرهم وحدة الدين والعقل، وأعادوا بناء الوعي الديني على أسس راسخة تستوعب الماضي، وتخطّط الحاضر، وتستشرف المستقبل.

ومن خلال عطائهم، لم يظل الفكر الديني أسير صيغته التقليدية، بل تجدد في منهجه، وتعمّق في منطقته، وتفتّح على آفاق جديدة من الوعي والاستدلال، والرؤية الأخلاقية والمدنية. لقد أصبح الدين، بفضلهم، مرتبطاً بمقصده الأصيل، وتحول إلى خطاب عظيم، يخاطب الإنسان عقلاً وروحاً، فرداً ومجتمعاً، ماضياً ومستقبلاً. حين نتأمل مجدية في النتائج العلمي لمفكر كالشيخ السيد أبو الأعلى المودودي عليه الرحمات، لا يبقى السؤال المطروح هو:

هل كان من كبار العلماء أم لا؟ بل ينبثق سؤال أعمق وأكثر جوهرية:

هل قدّم في سياق الفكر الإسلامي التقليدي إضافة مبدئية، إبداعية، ومستمرة، تؤهله ليكون من أعلام هذا التراث الكبار؟

هل كانت كتاباته مجرد ترداد لصدى الماضي، أم أنها سعت لصياغة تصور فكري متكامل عن الدين، يجمع بين التدوين العلمي، والتنظيم الفكري، والبصيرة النقدية، والتفسير الجديد، بحيث يرتبط بروح الماضي، ويتفاعل في الوقت نفسه مع أسئلة العصر الحديث؟

إن تقييم عمله العلمي لا يكتمل إلا من خلال النظر في تلك المحاور الفكرية الأربعة التي تشكل معايير الفهم في التراث الإسلامي.

إن أول ما تتجلّى فيه عظمة الشيخ المودودي العلمية، يظهر في أدوات الفهم

اللغوي والعقلي للدين، من اللغة، والمصطلحات، والدلالة، والبيان، وهي الحقول التي تميزت بها كتاباته لا من حيث البلاغة أو الجمال الأدبي فحسب، بل من حيث إعادة تشكيل المفاهيم الإسلامية وصياغة مصطلحاتها الأساسية بروح جديدة. لم يتعامل مع اللغة الأردنية كمجرد وسيلة تبليغ ديني، بل منحها منزلة اللغة العلمية القادرة على التعبير الفكري العميق، وتقديم المفاهيم الدينية المؤسسة بوضوح وارتباط منطقي.

وأبرز ما في هذه الجهود، هو ما قام به في سبيل إعادة تفسير المصطلحات الدينية الجوهرية. فقد أعاد تعريف مفاهيم مثل "الرب"، و"الإله"، و"الدين"، و"العبادة"، و"الطاعة"، و"الشريعة"، و"نظام الحياة"، و"القانون الإلهي"، و"إتمام الحجة"، و"الطاغوت"، بطريقة تنقلها من معانيها اللغوية أو الشكلية إلى مكوّنات في منظومة فكرية متكاملة.

ف "الرب" عنده ليس مجرد الخالق أو الرازق، بل هو الذات المقتدرة والمربّية، المحيطة بكل جانب من جوانب الحياة الإنسانية، بحكمتها وتربيتها وتشريعها. والإله ليس مجرد معبود رسمي، بل هو وحده صاحب السلطان المطلق، الذي يجب أن تخلص له الطاعة والولاء دون شريك، وبالتزام وإع وشامل. أما الدين، فهو ليس تجربة روحية مجردة، ولا نظاماً أخلاقياً فردياً، بل هو منظومة حضارية شاملة. والعبادة، ليست أفعالاً محدودة، بل مظهر جامع للطاعة الواعية، والولاء العقائدي، والخضوع الكامل لله. والطاعة ليست موقفاً مؤقتاً أو سلوكاً جزئياً، بل هي نمط حياة واستقامة مستمرة على درب الوفاء. وإتمام الحجة، ليس مجرد أداء دعوي، بل عملية أخلاقية كاملة، تتجسد في البلاغ، والدعوة، والتفاعل مع الواقع الزمني والمكاني، لتضع الإنسان أمام مسؤولية الاختيار قبل أن يدخل في نطاق عدل الله. أما الطاغوت، فهو كل نظام، أو سلطة، أو قوة غير إلهية، تسعى لنقل الإنسان من عبادة ربه إلى عبودية غيره، وتسلبه حريته في الولاء لله وحده. صواباً كان أم خطأ، فإن الشيخ المودودي لم يقتصر في تناوله للمصطلحات الإسلامية على مجرد الشرح الفردي لكل مصطلح على حدة، بل أقام بينها ترابطاً نظرياً وعملياً عميقاً. ففي كتاباته تتكامل هذه المفاهيم الأساسية بطريقة تجعلها تشكّل نظاماً فكرياً متناسقاً ومتكاملاً، نظاماً لا يسهل فقط فهمه من قبل الذهن

المعاصر، بل يمتاز كذلك بتماسكه المنطقي وبرهانته الحضارية. وتبرز نماذج هذه الجهود العلمية في مؤلفاته مثل: "الخطب"، "دين الحق"، "أسس ومبادئ الحضارة الإسلامية"، و"منظومة الحياة في الإسلام"، حيث قدّم هذه المصطلحات بشرح معمّق، وكشف عن أبعادها الفكرية والحضارية. غير أن ذروة هذا المشروع تتجلى في عمله الكبير "تفهم القرآن"، الذي لا يمكن اختزاله في مجرد تفسير، بل هو ترجمة فكرية، ومصطلحية، ومفاهيمية للقرآن. فقد تعامل الشيخ المودودي في هذا التفسير مع المصطلحات القرآنية لا بوصفها ألفاظًا لغوية فحسب، بل بوصفها مكونات لنظام دلالي متكامل، ترتبط بسياقها، وتنشق من منطقها الداخلي، وتخدم تصورًا فكريًا شاملاً. وهذا العمل لم يكن مجرد إنجاز لغوي، بل مشروع فكري، وأصولي، وحضاري متكامل. لذلك، فإن الشيخ المودودي لا يمكن اختزاله في مجرد مساهم جزئي أو تطبيقي ضمن دائرة أدوات الفهم الديني، بل هو مفكر محدّد في هذا الباب. لقد أعاد للمصطلحات الإسلامية معنى جديدًا، وأقام نسقًا مصطلحيًا متكاملًا قدّم من خلاله المعمار الفكري الإسلامي بصورة واضحة، مترابطة، ومؤسّسة على قوة في الاستدلال. وهذا الإنجاز لا يمكن أن يكون نتاج داعية متوسط، أو مترجم، أو خطيب بارع، بل هو من صنع مفكر يملك القدرة على إعادة تأسيس الرؤية الفكرية للدين، ويقدم لها أدوات جديدة تخاطب ذهن الحديث.

أما الميدان الثاني في تحديد عظمة الشيخ المودودي العلمية، فهو ذلك الذي يعاد فيه تشكيل المفاهيم والأحكام الدينية ضمن نسق أصولي، منضبط، وبرهاني. وهنا لا يظهر الدين كمجموعة من الأحكام المتفرقة، بل كنظام فكري مترابط، تخضع فيه كل تفسير، وكل حجة، وكل شرح لمنهج أصولي دقيق. وفي هذا الإطار، لا يقف الشيخ المودودي كشارح مسألة أو فقيه تقليدي، بل كمفكر وهب للفكر الإسلامي طابعًا استدلالياً، ووحدةً فكرية، وانسجامًا منهجيًا.

(للحديث صلة...)



بقلم: نعيم أحمد بلوش

نقله إلى العربية: الأستاذ عثمان فاروق

حياة أمين

سيرة الشيخ أمين أحسن الإصلاحي

[وفقًا لوصية صاحب "تدبر القرآن"، هذه صفحات

من سيرته بقلم كاتبها نعيم أحمد بلوش]

(الحلقة السادسة)

في عام ١٩٢٥م، عاد الشيخ أمين أحسن الإصلاحي ليرتبط مجددًا بمدرسة الإصلاح، لا كطالب هذه المرة، بل كأستاذ يلقي العلم لطلابه، وقد غدا حينها من خواص تلامذة شيخه الجليل الإمام حميد الدين الفراهي. وظلت هذه العلاقة قائمة حتى عام ١٩٤٤م، وهي فترة يمكن تقسيمها إلى مرحلتين واضحتين:

المرحلة الأولى: امتدت حتى ١١ نوفمبر ١٩٣٠م، وهو اليوم الذي رحل فيه الإمام الفراهي عن هذه الدنيا، تاركًا إرثًا علميًا وفكريًا عظيمًا.

المرحلة الثانية: استمرت حتى عام ١٩٤٤م، تميزت بجهود الإصلاحي في إطلاق مجلة "الإصلاح" الشهرية تحت إشراف "دائرة حميدية"، وترجمته لمؤلفات أستاذه الإمام الفراهي إلى اللغة الأردنية. وخلال هذه المدة، تولى مسؤولية رئاسة تحرير المجلة، كما تقلد منصب رئاسة المدرسة.

التلمذة على يدي الإمام الفراهي

يروى الشيخ أمين أحسن أن الإمام الفراهي كان قد أعد خطة خاصة لتدريسه القرآن الكريم في قريته "فريهة"، وقد أمره بالإقامة في داره لهذا الغرض. وقد نقل

الدكتور شرف الدين الإصلاحي أن الإمام قد هياً له إقامة في بنغل فخم بناه بجوار منزله، جعله خالصاً للبحث والتأمل، وكان قد صمم بنيانه بنفسه. غير أن هذا الامتياز الذي خص به أمين أحسن، أثار في نفوس الأساتذة والطلبة الكبار شعوراً بالغين، فتوجه وفد منهم إلى الإمام الفراهي، كان من بينهم الأستاذ مولوي سعيد أحمد، والأستاذ اختر أحسن إصلاحي. وفي البداية، لم يبدِ الإمام استعداداً للاستجابة لمطلبهم، إلا أنه وافق بعد إلحاحهم، وتجلت بذلك إحدى علامات علو مكانة أمين أحسن عند أستاذه، وحسن ظنه به. وبينما بدأ الدرس الخاص في المدرسة، كلف الإمام الفراهي تلميذه النجيب أمين أحسن بمهمة خاصة إلى "ملايا" (ماليزيا اليوم)، لجمع التبرعات دعماً للمؤسسة. وقد اختاره لهذه المهمة الدقيقة لما عرفه فيه من أمانة وبلاغة وقدرة على التأثير، وكان يحسن الخطاب والإقناع. وجدير بالذكر أن هذه لم تكن المرة الأولى التي يطلب فيها الإمام الفراهي مرافقته؛ إذ سبق له أن دعاه حين كان يعمل في صحيفة "المدينة" لمرافقته إلى "برما"، إلا أن ذلك لم يتيسر. أما هذه المرة، فقد رأى الإمام أن لا أحد أحق بهذه المهمة من أمين، فجعله "أمين" هذا الوفد بحق. وقد صدق فيه قول الشاعر:

مكتب عشق کا دستور زادیکھا اس کو چھٹی نہ ملے جس کو سبق یاد رہے

ترجمة: "مكتب العشق نظام غير مألوف به، لا يجاز المجتهد إن تذكر ما قرأ".

رافقه في هذا السفر أستاذه الآخرا، الشيخ شبلي المتكلم، والشيخ عبد الأحد الإصلاحي. واستغرقت الرحلة ستة أشهر، وربما لم تكن مقدرة بهذه المدة، لكنها طالت. وقد كتب إليه رفيقه اختر أحسن رسالة يطمئن فيها على حاله، فأجابه أمين أحسن قائلاً:

"أيام الهيجان البحري ربيعها في أوجها، والسفر حالياً غير ممكن."

وقد كانت هذه العبارة الأدبية التي استعار فيها من الطبيعة وصور بها واقع البحر، محل إعجاب الإمام الفراهي، فهتف قائلاً: "أمين أديب بحق!"

ومع أن هذا الغياب طال، فقد كان الإمام واثقاً أن دروس القرآن لا تضيع على تلميذه النابغ. فهو من برع في الأدب دون دراسة اللغة الأردية نظامياً، وهو الذي تأخر ثلاث سنوات في بدء التعليم، ثم سبق الجميع. كيف يخيب مثل هذا الفتى أمل أستاذه؟ ولما عاد من رحلته، وجد أن حلقات الدرس قد بدأت، لكنه

عاد بعزم متجدد، ورسالة أوفى.

من تقدّم المتقدّمين

كان بيت عائلة زوجة الشيخ أمين أحسن الإصلاحي في قرية قريبة من أعظم كره، غير أن التقاليد الراجبوتية لم تكن تسمح له بالإقامة هناك، فاختار أن يقيم في المدرسة نفسها. وقد خصص له غرفة إلى الجنوب من غرفة أستاذه، وقد اختارها الإمام الفراهي بنفسه. وتشير القرائن إلى أن هذا الاختيار لم يكن اعتباطيًا، بل كان حرصًا من الإمام على أن يقضي أمين أحسن أطول وقت ممكن بقربه. أما الدكتور شرف الدين الإصلاحي، فقد كان له موقف خاص من الشيخ أمين أحسن، وقد تضمّنت بعض صفحات كتابه "ذكر الفراهي" تعبيرات غير موضوعية ونقاشات لا طائل من ورائها. ورغم أن الخوض في هذا التفصيل لا يعد من الأمور السارة، إلا أنه إن اقتضت الضرورة، فيمكن تناوله بالنقد والتحليل. ومع أن أمين أحسن انضمّ إلى الدرس متأخرًا، فقد أظهر اجتهادًا منقطع النظير، وهو أمر معلوم ومشهور. غير أنه، حين يتحدث عن هذا التفوق، فإنّه يظهر تواضعه الجَمّ، ويصف الأمر على سبيل الرواية بالمعنى، ويقول:

"بالرغم من أنني انضمت إلى الدرس متأخرًا، إلا أنّي، بفضل الذكاء والاجتهاد، والملاءمة النفسية، والرغبة الصادقة، استطعت أن أتقدّم على الجميع في وقتٍ قصير. وكان مولانا الفراهي يردّد كثيرًا قول المسيح عليه السلام: كم من أواخر يصبحون أوائل!" (ذكر الفراهي، ص: ٥١٠)

شغل الليل والنهار

كان الأستاذ أمين أحسن الإصلاحي يدرّس مادتي الأدب العربي وتفسير القرآن الكريم في المدرسة. وقد وصف بنفسه برنامجه اليومي في تلك المرحلة قائلاً:

"كانت حياتي منظمة بدقة، وأتمسّك بروتينها مهما كانت الظروف. أستيقظ في الثالثة صباحًا، وأؤدي صلاة التهجد، ثم أشرع في الدراسة. وفي المدرسة، كنت أقضي ثلاث إلى أربع ساعات يوميًا في التدريس. وبعد صلاة الظهر، كنت أذهب إلى غرفة مولانا الفراهي، فأطرح عليه أسئلة حول مواضع مختلفة من القرآن."

ويتابع:

"كانت لي صداقة وطيدة مع فاروق النعماني، ابن إسحاق النعماني، شقيق مولانا شبلي النعماني. كنا نلعب كرة القدم أو الكرة الطائرة في المساء، وإذا لم تتح فرصة اللعب، كنت أخرج للتنزه ساعة بعد العصر. أما في الليل، فكنت أنام في تمام التاسعة دون تأخير، ولم أكن أنام خلال النهار مطلقاً." ويضيف عن شخصيته:

"كنت طالبًا جادًا بطبعي، ولا أميل إلى المزاح أو الأحاديث الجانبية مع الأصدقاء. لم أكن اجتماعيًا، بل كنت زاهدًا في اللقاءات والزيارات. حتى إن أحدهم اشتكى من ذلك إلى الإمام الفراهي، فقال رحمه الله: "هذا رجل منشغل بنفسه." (من روايات الشيخ، رحمه الله)

خدمة الأستاذ

لم يكن الشيخ أمين أحسن الإصلاحي يكتفي بنهل العلم من أستاذه الإمام الفراهي فحسب، بل كان يعدّ خدمته شرفًا وسعادة يتقرب بها إليه. فكان، كلما سنحت الفرصة، يقوم بنفسه بتنظيف غرفة الإمام، يزيل الغبار، ويرتب المكان بكل احترام وتواضع. ويروي الشيخ أن زميله مولوي اختر أحسن كان يشاركه الرغبة في هذه الخدمة، وكان كلاهما يسعى لنيل هذا الشرف. إلا أن الإمام الفراهي لم يكن يستحسن هذا التصرف، وكان يقول معلقًا: "يا أخي، أنتم أولى بأن يخدموا!"

ذلك أن المدرسة كانت قد خصصت خادماً رسمياً للقيام بأعمال التنظيف، غير أن ما كان يدفع أمين وأختر هو الحب الصادق، والرغبة في التعبير عن الارتباط العميق بالأستاذ، لا غير.

ويروي الشيخ الإصلاحي جانباً آخر من حياة أستاذه، إذ كانت من عاداته أن يكتب الهوامش مخطوطاته بقلم الرصاص، وكان يحرص على بريه بنفسه، ويهذب رأسه بدقة وعناية حتى يصير سنّه بالغ النحافة. وكان تلاميذه يتمنون أن يشاركوه هذه الدقة، أو أن يقوموا بها نيابة عنه. يقول الشيخ: "جربت مرة أن أبري له القلم، فانكسر سنّه!"

ويسترسل في وصف ذوق الإمام قائلًا:

"كان في أدق عاداته يعكس حساً فنياً ونظافة داخلية نادرة. وكان يقول إن أبرز مظاهر الذوق تتجلى حين يأكل الإنسان المانجو. وكان الإمام يأكل المانجو بثلاث أصابع فقط، وبتأنٍّ عجيب يثير الدهشة، كأنما هو يرسم لوحة، لا يتناول فاكهة!"

الأمين العلمي

كان أمين أحسن الإصلاحي يدرك تمامًا حجم الثقة التي أولاه إياها أستاذه الإمام الفراهي. فقد عهد إليه بجمع مسوداته وترتيبها تحت العناوين المناسبة، وكان هذا العمل يتم بأمر مباشر من الإمام، دون وسيط. وفي مرحلة لاحقة، بدأ الشيخ يعاني من رجفة خفيفة في يده أثرت على خطه. فاضطر إلى أن ينجز هذا العمل تحت إشرافه ولكن بخط يد شخص آخر. فلما اطلع الإمام على المسودة المرتبة ولاحظ اختلاف الخط، قال مستغرباً: "كنت أحب خطك، لماذا أسندت هذا العمل إلى غيرك؟" وحين شرح له السبب، اطمأن. وكان من الواضح أن القضية لم تكن متعلقة بجمال الخط فحسب، بل كانت تعبيراً عن تقدير الأستاذ للأمانة والدقة والذكاء الذي لم يكن يرى له نظيراً في تلميذه أمين. وقد تطورت حالته فيما بعد حتى اشتد عليه الرعاش، فعجز تماماً عن الكتابة، وسنذكر لاحقاً بإذن الله بعض المواقف المؤثرة المتعلقة بهذا الأمر.

سعة التلمذة

يثور السؤال: إلى أي مدى نهل أمين أحسن الإصلاحي من معين أستاذه الإمام الفراهي؟

وقد أجاب الشيخ نفسه عن ذلك بقوله:

"لقد لازمت صحبته ستة أعوام كاملة، لم تمرّ عليّ خلالها صباح أو مساء إلا ووجدت فيها فرصة للمناقشة معه في قضايا العلم والدين والأدب والسياسة، وأعرض عليه ما يداخلني من إشكالات، وأصغي إلى آرائه في شتى المجالات." (مقدمة "مجموعه تفاسير الفراهي"، ص: ٣١)

وقد روى الدكتور شرف الدين الإصلاحي عن الشيخ الإصلاحي هذا القول:

"كان ذلك فضلاً من الله، إذ دعاني هو بنفسه لتعلّم التفسير على يديه. قضيت خمس سنوات كاملة في صحبته، وبعد وفاته انفتحت لي آفاق فهم القرآن. منذ

ذلك الحين، أصبح القرآن محور اهتمامي وشغفي، وقرأت معه مباحث في الأدب العربي والفلسفة متعلقة بالقرآن الكريم، ودرست القرآن الكريم من الحمد إلى الناس. والحق أن درسه العام لم يبدأ إلا من أجلي." (ذكر الفراهي، ص: ٥٧٠)

ويبدو من هذين النصين وجود فارق في تحديد مدة الصحبة بعام واحد، وربما يرجع ذلك إلى احتساب الدكتور شرف الدين لفترة الستة أشهر التي قضاهما الإصلاحي في "ملايا" ضمن المدة. بينما الإمام الفراهي والشيخ الإصلاحي نفسه اعتبرا كامل المدة من عام ١٩٢٥م حتى ١٩٣٠م ستة أعوام تامة. وكان من الذوق العالي أن لا ينقص من قدرها، فإن التقليل من نسبة التلمذة مع أستاذ في مقام الإمام الفراهي نوع من الجفاء في الأدب. وقد صرح الشيخ الإصلاحي أنه ناقش أستاذه في كل موضوع دون حرج، لكن لفهم عمق هذه العلاقة نورد مثالاً حياً: قال الشيخ إنه كان يقرأ قصيدة عربية، فاستغلق عليه معنى "لا" في أحد الأبيات. راجع شروحاً كثيرة، منها شرح الأديب الهندي مولوي فيض الحسن السهارنفوري، فلم تطمئن نفسه إلى أيّ منها. فأخذ الكتاب وتوجّه إلى الإمام الفراهي، فوجده واقفاً خارج دار المطالعة، فعرض عليه الإشكال. فما كان من الإمام إلا أن أخرج قلمه الرصاص من جيبه وكتب على هامش الكتاب:

"لا هي نادرة. كما تقولون أنتم: 'جس گهڑی میری موت نہ آجائے'، فهذا هو نفس الأسلوب." وقد نقل هذا الموقف الأستاذ جاوید أحمد غامدي، موضحاً أن الشيخ ظن "لا" هنا أداة نفي، بينما أوضح الإمام أنها هنا للتفخيم لا للنفي. ويمكننا فهم هذا الأسلوب البلاغي من شعر مثل بيت غالب:

کیا فرض ہے کہ سب کو ملے ایک سا جواب آؤ نہ ہم بھی سیر کریں کوہِ طور کی

ترجمة: "هل من الواجب أن يمنح الجميع جواباً واحداً؟ هلمّ بنا نحن أيضاً إلى طورٍ نتأمل فيه!"

ف"نه" هنا لا تدل على النفي، بل على التفخيم والتحريض، تماماً كما شرح الإمام الفراهي.

هذا يدل على عمق العلاقة العلمية بين التلميذ وأستاذه، فكان الإصلاحي يسأل بكل حرية، ولا يقف حاجز بينه وبين الأستاذ لا من حيث المكانة ولا المهابة. والأجمل من ذلك أن الإمام كتب بيده التوضيح في كتاب تلميذه، وبأسلوبه الأدبي

المألف، مما جعل الفهم جلياً وحاسماً.

وقد علّق الشيخ قائلاً:

"هذا الأسلوب في سبر أغوار اللغة لم يكن لغير أستاذي."

وأضاف أنه روى هذا الموقف مراراً، وكان كلما رواه، بدا كأنه ما زال واقفاً بجانب أستاذه، مستحضراً اللحظة بكل مشاعره. ولا شك أن هذا يكشف عن المستوى الرفيع الذي بلغه أمين أحسن في التكوين العلمي، والأدبي، والأخلاقي. ولذا كتب الشيخ سيد سليمان الندوي:

"في أواخر عمره، كانت أكبر مساعي الإمام الفراهي أن يعدّ نفراً من الطلبة النابهين على وفق مزاجه العلمي. وقد تفرّغ لتربية عقلية وروحية خاصة لأقله اثنين منهم." (مجلة "معارف"، عدد يناير ١٩٩٨م، بقلم الشيخ ضياء الدين الإصلاحي)

وقد قصد بهذين التلميذين الشيخ أمين أحسن الإصلاحي والشيخ أختار أحسن الإصلاحي. وفي الموضع نفسه، أوضح الشيخ ضياء الدين قائلاً:

"يكفي الشيخ أمين أحسن الإصلاحي فخراً أنه حاز شرف خلافة الإمام الفراهي، وأصبح أبرز تلاميذه على الإطلاق، وقد أدى حق هذه الخلافة كما ينبغي. ويكفي ما قاله الشيخ سيد سليمان الندوي: لقد أفاد بعض الطلبة النابهين من درس الإمام الفراهي فائدة كاملة، من بينهم مولوي أمين أحسن الإصلاحي، ونعلّق آمالنا القادمة عليه."

درس الحديث

يبدو أن الشيخ أمين أحسن قد تلقى فهمه للحديث الشريف، إلى جانب دراسته للقرآن الكريم والفلسفة والعلوم السياسية، على يد شارح جامع الترمذي الشهير، المحدث عبد الرحمن المباركفوري. وقد كان يروي - في أكثر من مناسبة - قصة تعبر عن طبيعة هذا التلقي.

قال: كنت أقرأ عبارة من جامع الترمذي بثقة تامة، فمررت بكلمة "عَرَفَ" وقرأتها بكسر الراء (عَرَفَ). فاعترضني أستاذي وقال: "أنا لا أعرف عَرَفَ" (أي لا أعرف "عَرَفَ" بكسر الراء). فأجبت به بإصرار وثقة: "أما أنا فلا أعرف عَرَفَ" (أي لا أعرف "عَرَفَ" بفتح الراء).

فقال لي بهدوء: "راجع اللغة".

ففتحت "الصحيح" للجوهري، فإذا القول قول أستاذي. فلما بدا عليّ بعض

الخرج، ابتسم وقال: "استأنف، فللجواد زلة".

ومع ذلك، فإن استفادته من علم الحديث لم تكن على النحو العميق نفسه

الذي كان يميز علاقته بالقرآن الكريم. ويحتمل أنه كان يطالع جامع الترمذي

بصفة القارئ أو لأخذ بعض الشواهد والأمثلة.

(يتبع ...)



الشعر والقريض



الشاعر: العلامة الدكتور محمد إقبال

نظمها بالعربية شعراً: الشيخ صاوي علي شعلان المصري (١٩٠٢-١٩٨٢م)

الشكوى وجواب الشكوى

(حديث الروح)

(الحلقة الثانية)

من قام يهتف بإسم ذاتك قبلنا
عبدوا تماثيل الصخور وقدسوا
عبدوا الكواكب والنجوم جهالةً
هل أعلن التوحيد داعٍ قبلنا
كنا نُقدِّم للسيوف صدورنا
لم نخش يوماً غاشماً جبَّاراً
لم يبلغوا من هديها أنواراً
وهدى الشعوب إليك والأنظاراً
مَنْ كان يدعو الواحد القَهَّاراً
مِنْ دونك الأحجار والأشجاراً

قد كان في اليونان فلسفةً وفي الرُّ
لم تُغن عنهم قوة أو ثروةً
وبكلِّ أرض سامريٍّ مأكراً
والحكمة الأولى جرّت وثنيّةً
نحن الذين بنور وحيكٍ أوضحوا
نهج الهدى ومعالِم الإيمان
في الصين أو في الهند أو ثوران
يكفي اليهود مؤونة الشيطان
في المال أو في العلم والعرفان
ومان مدرسةً وكان المُلك في ساسان

من ذا الذي رفع السيوف ليرفع أش
كنا جبلاً في الجبال وربما
بمعابد الإفرنج كان أذائنا
مكّ فوق هامات النجوم منارا
سيرنا على موج البحار بحارا
قبل الكتائب يفتح الأمصارا

لم تنس إفرقيا ولا صحراؤها سجّداتنا والأرض تقذف نارا
وكأنّ ظلّ السيف ظلّ حديقه خضراء تنبت حولنا الأزهارا

لم نخش طاغوتًا يحاربنا ولو نصب المنايا حولنا أسوارا
ندعو جهارًا لا إله سوى الذي صنع الوجود وقدر الأقدارا
ورؤوسنا يا ربّ فوق أكفّنا نرجو ثوابك مغنمًا وجوارا
كنا نرى الأصنام من ذهبٍ فنه دمها ونهدم فوقها الكفّارا
لو كان غير المسلمين لحازها كنزًا وصاغ الحليّ والدينارا

(يتبع...)



هذا الطفل

(تحية لأطفال غزة الأبطال)

(١)

هذا الطفل بألفٍ منكم	لا ، بل زاد عن المليون
هذا الطفل يُدافع عنكم	حين يصدُّ بني صهيون
هذا الطفل البطل الصاعد	يصنع نصراً حيث يكون
هذا الطفل العارف حقاً	أنَّ الكربَ غداً سيهون
أنَّ الفجرَ قريباً آتٍ	أنَّ الفوزَ لمن يُعطون
نفساً، روحاً، أهلاً، مالاً	حين يُلوحُّ هنا الباغون
هذا الطفل الغارسُ عزّاً	في أجيالٍ سوفَ تصون
أرضاً، ديناً، وطناً، شعباً	يوماً يصحو بعد قرون
يوماً يدركُ أنَّ الوحدةَ	قرصٌ يمحو كلَّ ظنون
هذا الطفل بألفٍ منكم	لا ، بل زاد عن المليون

(٢)

هذا الطفل بألفٍ ناموا	لا ، بل زاد عن المليار
ممن صلُّوا ، ممن صاموا	هذا يصدُّ للتيار
هذا علّم كلَّ الدنيا	أنَّ النصرَ لأهل الدار
أنَّ المرءَ يعيش كريماً	حين يُصارعُ في الأخطار
حين يصفحُ قَمّةَ حُلُمٍ	حين يواجهُ كلَّ شرار
حين يبيعُ العمرَ فداءً	حتى يغربَ كلُّ حصار
حتى يهربَ كلُّ ظلامٍ	ينحشُّ أصوات الأحرار

إِنِّي بَاقٍ ، بَاقٍ ، بَاقٍ لَنْ أَرْضَى صَمْتًا وَفِرَارًا
فِي قَلْبِي أَنْوَارُ شَفِيعِي فِي عَقْلِي أَحْدَاثُ الْغَارِ
هَذَا الطِّفْلُ بِأَلْفٍ مِنْكُمْ لَا، بَلْ زَادَ عَنِ الْمِيلَارِ

(٣)

هَذَا الطِّفْلُ أَمِيرٌ يَعْلُو يَزْرَعُ كُلَّ الْأَرْضِ حِمَاسًا
هَذَا الطِّفْلُ مَلَاكٌ يَبْدُو يُرْعِبُ أَنْظَارَ الْأَنْجَاسِ
هَذَا الطِّفْلُ حَفِيدُ صِلَاحٍ لَا يَسْمَعُ صَوْتَ الْخَنَاسِ
هَذَا الطِّفْلُ بِكُلِّ شَمُوحٍ يَسْقِي الْغَاصِبَ مَرَّ الْكَاسِ
جَبَلٌ، جَبَلٌ، بَرْقٌ، رَعْدٌ لَا يَمَكُثُ بَيْنَ الْأَقْوَاسِ
عَصَبٌ، عَصَبٌ، نَارٌ، نَارٌ تَخْرُجُ فِي عَدَدِ الْأَنْفَاسِ
تُعْلِنُ أَنَّ الْأَرْضَ سَتَبَقَى فِي قَبْضَةِ خَيْرِ الْحِرَاسِ
جِيلٌ يَمْضِي، جِيلٌ يَأْتِي يَوْمًا سَتَقَامُ الْأَعْرَاسِ
وَيَعُودُ نَشِيدِي وَيَغْنِي أَجْنَادِي يَا خَيْرَ النَّاسِ
هَذَا الطِّفْلُ بِشَعْبٍ مِنْكُمْ هَذَا يَزْرَعُ كُلَّ حِمَاسِ



من نفحات الربيع

(أبيات مختارة من قصيدة في مدح الحبيب ﷺ)

طُوفَ الغَمَامُ عَلَى مُسْتَوْحِشٍ جَرِدٍ طَيْفٌ لَوَجْهِ حَبِيبِي طَافَ فِي خَلْدِي
 وَبُرْدَةُ الْوَرْدِ حَاكِنَتَهَا يَدُ الْبَرْدِ كَسَاهُ بِالسُّنْدُسِ الْمُخَضَّرِ وَابِلُهُ
 وَعَادَ بَعْدَ النَّوَى بِالْأُنْسِ وَالرَّعْدِ سَاقَ الْحَيَاةِ لَهُ بِكُلِّ رَوْتِفْهَا
 لِلشَّمْسِ مُبْتَهَلٌ بِالصَّادِحِ الْغَرْدِ فَمَا انْجَلَى عَنْهُ إِلَّا وَهُوَ مُبْتَسِمٌ
 أَحْيَا فُؤَادِي وَأَطَقَا جَمْرَةَ الْكَيْدِ كَذَاكَ وَجْهَكَ لَمَّا بِالضِّيَاءِ بَدَا
 يَا نَبْضَ قَلْبِي وَرُوحًا حَلَّ فِي جَسَدِي يَا أُنْسَ نَفْسِي وَنُورًا شَعَّ فِي بَصْرِي
 وَضَاقَ صَدْرِي عَنْ صَبْرِي وَعَنْ جَلْدِي وَيَا مَلَاذِي إِذَا مَا الْيَأْسُ انْخَنَى بِي
 وَقُمْتُ أَجُتُّ فِي الدِّيُورِ عَنْ سَنَدِ وَيَا عِمَادِي إِذَا لَيْلُ الْهُمُومِ طَعَى
 فَاَمْسَحَ عَنِ الْعَيْنِ مَا قَدْ هَاجَ مِنْ رَمَدٍ يَا مُنْكَرَ الشَّمْسِ إِنَّ الشَّمْسَ قَدْ بَزَعَتْ
 إِذَا نَظَرْتُ لَهُ نَسِيتُ كُلَّ رَدِي يَكْفِيكَ مِنْ حُسْنِهِ نُورٌ يُجَلِّلُهُ
 أَعْظَمَ بِهِ قَمَرًا بِهِ الْأَنَامُ هُدًى أَكْرِمَ بِهِ سَيِّدًا فَاصَتْ قَوَاضِلُهُ
 - إِنَّ سَلَّ سَيْفِ الرَّدَى - جَبْرِيْلُ بِالْمَدَدِ مُؤَيِّدًا مِنْ إِلَهِ الْعَرْشِ يَعْضُدُهُ
 وَكَمْ تَسْرَبَلْ مَنْ عَادَاهُ بِالصَّفَدِ فَكَمْ هَوَى تَحْتَهُ طُودٌ بِمَعْرَكَةٍ
 بَيْنَ الْعَدَا فَرَّ مِنْهُ كُلُّ مُرْتَعِدٍ كَأَنَّهُ اللَّيْثُ لَمَّا صَالَ صَوْلَتُهُ
 وَجَمَعَ اللَّهُ أَشْتَاتًا مِنَ الْجَدَدِ وَأَلَّفَ اللَّهُ بِالْمُخْتَارِ أَفْئِدَةً
 هَدَى بِهِ اللَّهُ مَنْ صَلُّوا إِلَى الرَّشَدِ مُحَمَّدٌ صَفْوَةُ الرَّحْمَنِ مِنْ نَسَمٍ
 وَالْحَاشِرُ الْعَاقِبُ الدَّاعِي إِلَى الصَّمَدِ مُحَمَّدٌ أَحْمَدُ الْمَاجِي لِكُلِّ دُجَى
 كَالرَّيْحِ يُرْسِلُهَا كَفٌّ لَدَيْهِ نَدِي وَصَاحِبُ الْجُودِ يُعْطِي كُلَّ مُلْتَمِسٍ
 عَيْنُ الْمَشُوقِ بِلَا حَصْرِ وَلَا عَدَدٍ صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهُ الْعَرْشِ مَا ذَرَفَتْ
 نَهَجَ النَّجَى بِلَا مَيِّدٍ وَلَا أَوْدٍ وَالْآلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ السَّائِرِينَ عَلَى

الأحداث



بقلم: شاهد محمود

ترجمة من الأردية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

النشرة الإخبارية لمؤسسة "المورد أمريكا" (أغسطس ٢٠٢٥م)

١- فعالية تكريمية لذكرى العلامة شبلي النعماني

استضاف مركز "اردو گهر" بمدينة دالاس، في الشهر الماضي، الأستاذ محمد حسن إلياس، مدير الأبحاث والتواصل في مركز غامدي، لإلقاء محاضرة حول شخصية العلامة شبلي النعماني وإرثه العلمي. وقد شهدت الجلسة حضوراً لافتاً من المهتمين، حيث استعرض الأستاذ إلياس إسهامات شبلي في مجالات الدين، والأدب، والتعليم، متناولاً كذلك مدرسة شبلي الفكرية ودورها في خدمة المعرفة والدين. كما أجاب عن جملة من الأسئلة الفكرية والعلمية التي طرحها الحضور. التسجيل الكامل متاح على قناة مركز غامدي في يوتيوب.

٢- كيف يمارس الاجتهاد

في إطار سلسلة الفيديوهات الجارية التي تتناول موضوع "٢٣ اعتراضاً"، ناقش الأستاذ جاويد أحمد غامدي خلال لقاءات يوليو ٢٠٢٥ موضوع الاجتهاد، مستعرضاً مبادئه كما وردت في مقاله "أصول الفقه". وأكد أن غاية الاجتهاد في الدين يجب أن تظل دائماً مركزة على تحقيق التزكية، موضحاً الأسس الفكرية والعقلانية لرؤيته في باب الاجتهاد. الجلسات متوفرة على قناة غامدي في يوتيوب.

٣- برنامج "اسأل غامدي"

ضمن سلسلة اللقاءات المباشرة الشهرية التي يعقدها المركز، تناول الأستاذ غامدي في يوليو عدداً من الأسئلة المهمة، منها:

أ- هل للزوج والزوجة حقوق متساوية في الأسرة؟

ب- كيف نفرق بين العبادة النافلة والبدعة؟

ج- هل يمكن التوفيق بين الشريعة والتصوف؟

د- هل التصوف يهدف إلى معرفة الله؟

هـ- هل الجنة مخلوقة الآن أم ستخلق لاحقاً؟

و- هل توجد شهادة عيان تاريخية لحادثة كربلاء؟

جميع الحلقات متوفرة على قناة المركز في يوتيوب.

٤- "حكم الله بشأن الزينة"

في مقاله المنشور في عدد يوليو من مجلة "إشراق أمريكا"، بين الأستاذ منظور الحسن أن الزينة نعمة إلهية وليست نقيضاً للإيمان، بل هي دليل على شكر الإنسان لنعم الله. واستشهد بالآية ٣٢ من سورة الأعراف لتأكيد أن الزينة ليست مما يزهّد فيه الإسلام، بل يرشد إلى استعمالها ضمن حدود الشريعة. كما أكد أن الجنة دار الجمال والنعيم، وأن الإسلام لا يدعو إلى ترك الدنيا، بل إلى العيش فيها ضمن إطار الشريعة.

٥- دروس القرآن والحديث الأسبوعية

في يوليو ٢٠٢٥، تناول الأستاذ غامدي في دروسه التفسيرية آيات ٤٥ إلى ٨٦ من سورة الأنبياء. وفي سلسلة الأحاديث، ناقش موضوعات تمس القيم الإيمانية، مثل:

١- عقوق الوالدين

٢- تحريض الزوجة على زوجها

٣- تحريم التفاخر بالمظهر واستعمال الحرير والفضة

٤- النهي عن الغش في التجارة

جميع الجلسات متاحة على قناة المركز في يوتيوب.

٦- فتح باب التسجيل في "Sunday School" (مدرسة الأحد)

بدأ التسجيل للعام الدراسي الجديد في "مدرسة الأحد" التابعة لـ "المورد أمريكا"، وهي مدرسة تهدف إلى غرس القيم الإسلامية في نفوس الأطفال من خلال منهج قرآني وسني. وقد تأسست المدرسة قبل تسع سنوات، ويشرف عليها فرحان سيد وعاطف ساجد تحت مظلة اللجنة التعليمية للمورد أمريكا.

يبدأ الفصل الدراسي يوم ١٦ أغسطس ٢٠٢٥، وتُعقد الدروس يومي السبت والأحد عند الساعة ١١ صباحاً بتوقيت أمريكا (٩ مساءً بتوقيت باكستان).

رابط التسجيل:

ghamidi.org/sunday-school-2025

٧- أمة واقفة على ركام التاريخ

في مقاله التحليلي بمجلة "إشراق أمريكا" عدد يوليو، تناول الأستاذ محمد حسن إلياس واقع الأمة الإسلامية في ضوء تاريخها ومآسيها المعاصرة. أشار إلى أن النظام العالمي بعد الحرب العالمية الثانية تبثى شعارات العدالة، لكنه في الواقع تأسس على القوة والمصلحة. أما استقلال الدول الإسلامية، فكان فرصة إلهية ضاعت بسبب القيادات العاطفية والطائفية، والانخداع بالذات.

٨- سلسلة "تفهم الآثار"

في حلقات يوليو ٢٠٢٥ من سلسلة "تفهم الآثار"، ناقش المركز موضوعات مهمة، منها:

١- نبوءات تتعلق بالخلافة والمملك

٢- خصائص "الخلافة على منهاج النبوة"

٣- المبادئ الشرعية في التعامل مع الحكام

الحلقات متوفرة على قناة المركز في يوتيوب.

٩- صدور عدد جديد من مجلة "صالحات"

صدر العدد الجديد من مجلة "صالحات" النسائية، متضمناً مقالات علمية

وفكرية، من أبرزها:

١- تفسير الآيات المتعلقة بضرب الزوجة

٢- فهم حديثين حول الأوهام

- ٣- مقال للأستاذ غامدي بعنوان "أزواج النبي"
- ٤- مقالتا "الأستاذ لا يوتخ أبداً" و"باب يفتح للداخل" للأستاذ محمد حسن إلياس
- ٥- قصة قصيرة بعنوان "الرجولة" لـ نعيم أحمد بلوش
- ٦- "الإيمان بالغيب" لـ كلثوم ثاقب
- ٧- مقالة صحية لـ بينش كهرل
- ٨- مراجعة كتاب بقلم نسرین خان، وتعريف بمسرحية "التحليق والصوت" تشرف على المجلة لجنة تحرير تتكون من: نعيم بلوش (رئيس التحرير)، وجيهة حسن واحدي (نائبة الرئيس التحرير)، وتحت إشراف عام من الأستاذ محمد حسن إلياس. النسخة الرقمية بصيغة PDF متاحة للتحميل.
- ١٠- "أسئلة مع الأستاذ محمد حسن إلياس"
- أجرى برنامج "المسلم المعاصر" (Muslim Today) لقاءً مع الأستاذ محمد حسن إلياس، ناقش فيه مجموعة من الأسئلة المثيرة، من أبرزها:
 - ١- هل عبد النبي ﷺ الأصنام قبل البعثة؟
 - ٢- ما حدود استخدام العقل في الدين؟
 - ٣- هل المهدي هو معاوية بن أبي سفيان؟
 - ٤- هل أثبت غامدي أن الكون مخلوق؟
- ١١- خانقاه غامدي الإلكترونية
- ضمن الجلسات الروحية الشهرية التي تعقدها خانقاه غامدي، تمت مناقشة موضوعات وجودية وروحية، منها:
 - ١- أيهما أولى: الخير أم الحق؟
 - ٢- صعوبة بدء الحوار
 - ٣- أسئلة الحياة الوجودية
 - ٤- ماذا لو لم تكن لديك حرية الاختيار؟
- جميع التسجيلات متاحة على قناة المركز.

١٢- حلقة "Islam Study Circle"

في حلقات يوليو ٢٠٢٥، أدار الأستاذ شهزاد سليم جلسات باللغة الإنجليزية ضمن سلسلة "Islam Study Circle"، ناقش فيها موضوعات تربوية وروحية في ضوء القرآن والكتاب المقدس، منها:

١- النمو الروحي

٢- المظهر الخارجي

٣- حقوق الوالدين

كما خصّص وقت للحديث عن الهوايات والرد على أسئلة المشاركين.

١٣- سبب انفصال الشيخ أمين أحسن الإصلاحي عن الجماعة الإسلامية

في سلسلة "حياة أمين"، ناقش نعيم أحمد بلوش الأسباب التي دفعت الشيخ أمين أحسن الإصلاحي إلى الانفصال عن الجماعة الإسلامية. وأشار إلى اعتراضه على الاتجاهات السلطوية والتسييس المفرط داخل الجماعة، رغم إيمانه العميق بمبادئها الأصلية القائمة على الشورى والدعوة.

١٤- "الإيمان والعقائد"

ضمن سلسلة محاضرات كتاب "ميزان"، واصل الأستاذ الدكتور شهزاد سليم تقديم دروسه حول كتاب "ميزان" للأستاذ جاويد أحمد غامدي. وركّز في حلقات يوليو على قضايا الإيمان والعقائد. الحلقات متاحة باللغة الإنجليزية على قناة المركز في يوتيوب.

١٥- برنامج "علم وحكمة مع غامدي"

ناقش برنامج "علم وحكمة"، الذي يبث أسبوعياً على قناة دنيا نيوز ويقدمه الأستاذ حسن إلياس، في حلقات يوليو ٢٠٢٥ موضوع "تاريخ صعود وسقوط الأمة الإسلامية" على مدى أربع حلقات. كما خصّصت حلقة خاصة بعنوان "مفهوم الشهادة في الإسلام" بمناسبة حلول يوم عاشوراء.

١٦- الجلسات الاستشارية الخاصة

قدّم الأستاذ شهزاد سليم خلال شهر يوليو أكثر من ٣٠ جلسة استشارية خاصة عبر الإنترنت، تناولت مشاكل شخصية وعائلية، خاصة القضايا المرتبطة بالمراهقة وصعوبات التواصل بين الآباء والأبناء.

١٧- ملخّص بالإنجليزية لسلسلة "٢٣ اعتراضاً"

يواصل الدكتور شهزاد سليم تقديم ملخّصات باللغة الإنجليزية لموضوعات سلسلة "٢٣ اعتراضاً". وقدّم في يوليو الجزء الثاني من ملخص موضوع "الإسلام والدولة".

١٨- فتاوى مبنية على فكر غامدي

أصدر المركز عدداً من الفتاوى المتعلقة بالزواج، والطلاق، والميراث، والمعاملات الاجتماعية، وذلك استجابة لأسئلة المتابعين. وقد تولّى إعداد هذه الفتاوى الأستاذ حسن إلياس، مستنداً إلى منهج الأستاذ جاويد أحمد غامدي في الفهم والتأصيل.

١٩- برنامج "اسأل الدكتور شهزاد سليم"

يعقد شهرياً لقاء مباشر مع الدكتور شهزاد سليم للإجابة عن الأسئلة الدينية والاجتماعية والأخلاقية. يتاح للمشاركين طرح أسئلتهم باللغتين الأردية والإنجليزية، وتُبثّ الجلسات على قناة المركز.

٢٠- تدريس "البيان" بالإنجليزية

يقوم الأستاذ الدكتور شهزاد سليم بتدريس تفسير "البيان" للأستاذ جاويد أحمد غامدي باللغة الإنجليزية، بهدف إيصال مضامينه إلى الناطقين بالإنجليزية. وقد تناول في دروس يوليو آيات ١ إلى ٥٥ من سورة الأنعام. التسجيلات متاحة على قناة المركز بالإنجليزية.

